جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بسوهاج

بحث في

المنكرون لمعجزات الأنبياء والرد عليهم

إعـــداد

الدكتور / أحمد فهمي علي محمد

أستاذ مساعد ورئيس قسم العقيدة والفلسفة

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم بجميع المحامد ونثنى عليك بما أنت أهله ونشكرك على فضلك وإحسانك كما تحب ربنا وترضى، سبحانك يا من إتصف بكل كمال وتنزه عن كل نقص وأمر بالكمال الإنسانى والاستقامة على المنهج الإلهى والمشى سوياً على صراط مستقيم وبالقول الحسن للجميع وبالحكمة والموعظة الحسنة عند تقويم الإنسان فى العقيدة والسلوك، ونهى عن الفظاظة والغلظة عند مباشرة أسباب التقييم والتهذيب قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجاد لهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾[1].

وقال جل شأنه: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[2].

ونصلى ونسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إمام المتقين وقدوة الداعين والمربين، والداعى إلى الحق والى طريق مستقيم، اللهم صلى عليه وآله وصحبه أجمعين وبعد ...

لقد خلق الله الإنسان ووهب له العقل وكان طبيعياً أن يستعمل الإنسان عقله فيما خلق من أجله، لذلك فمنذ القدم أخذ يتفكر فى هذا الكون

---

(١) سورة النحل الآية رقم ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ١٥٩.

المحيط به، وكان من الطبيعى أن يتطور هذا التفكير صعوداً وهبوطاً بحسب تطور العصور ورقيها ويختلف تبعاً لاختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص من رقى وانحطاط وتخلف، ومن المعلوم أن العقل الإنسانى قد يستطيع أن يتعرف بمفرده على الضروريات والبديهيات الفكرية، كما يستطيع أن يضبط بعض القضايا الحسية والأمور التجريبية المرتبطة بالحواس، إلا أنه عاجز عن ذلك فيما يتعلق بالغيبيات أو على الأقل لا يستطيع أن يأتى فيها بأحكام يقينية كالتى وصل إليها فى الأمور الحسية والتجريبية.

ومن هنا كان الاختلاف منذ زمن بعيد فى الأمور الغيبية أشد وأعنف من الخلافات التى حدثت فيما يتعلق بالأبحاث التجريبية والأمور الحسية، وتبعاً لذلك أيضاً كانت الأبحاث العقلية البحتة فيما يتعلق بالأمور الغيبية والأبحاث الإلهية تصل إلى طريق مسدود ونتائج خاطئة، لأن العقل الإنسانى له طاقات محدودة فى هذا الجانب ولابد له من مرشد يوضح له ما خفى عليه ومالا يستطيع إدراكه بمفرده.

واحتاج الناس فى كل زمان إلى المرشد المعصوم والمصدق من قبل الله بالمعجزات وأعنى بالمرشد هنا هو النبى أى نبى من لدن آدم إلى خاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أنه لم يتركهم هملا، أو لعقولهم لتفاوتها فى إدراك الخير من الشر فلم يخل زمن من الأزمان إلا وقد جاء من ينصح ويذكر ويرشد إلى الحق ويحذر وينذر من الوقوع فى الضلال

والخسران قال تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾[١] وقال جل شأنه: (رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل).

وقد أيد الله عز وجل أنبياءه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالبراهين والآيات والمعجزات لتكون دلالة على صدقهم، وقد نقل إلينا بالتواتر أن الله أيد رسله بالمعجزات وأن القرآن الكريم هو معجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخالدة وقد ثبت فيه معجزات الأنبياء.

ورغم هذه الحقائق الثابتة المسلمة إلا أن شر ذمة من الناس حاولوا النيل من الإسلام وأثاروا الشبهات حول المعجزات منكرين إياها، وقد تصدى علماء الإسلام للرد على هذه الشبهات وكشفوا عن زيفها وأقاموا الدلائل على بطلانها ويبدو أن الحق محارب فى كل زمان ومكان وطالما أن هناك خير فلا يعرف إلا بوجود ضده وهو الشر فيتصارعان معاً حتى يندثر الباطل ويبقى الحق شامخاً ثابتاً قويا ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾[٢].

ولقد دفعنى إلى الكتابة فى هذا الموضوع ما نشرته جريدة أخبار الحوادث الصادرة فى يوم الخميس الموافق ٢٠ من المحرم ١٤٢٠هـ-٦ من مايو ١٩٩٩م وعلى صفحتها الثامنة مقالاً عنوانه: أزمة بين جامعتى

---

(١) سورة فاطر الآية رقم ٢٤.

(٢) سورة الأنبياء الآية رقم ١٨.

المنوفية وعين شمس، والسبب رسالة دكتوراه الرسالة لباحثة تشكك فى معجزات الأنبياء وتصفها بالأساطير.

وضعت الباحثة رأيها هذا فى فصل تحت عنوان "ميثولوجيا الجسد فى الفكر الدينى رؤية سيكولوجية" وقالت فيه:

"ه كما شاعت الأساطير التى واكبت ميلاد البطل الأسطورى أو التى تعلقت خاصا بمولده، شاعت كذلك الأساطير اللازمة لحياته والتى تم صياغتها بحيث تحتوى على الكثير من الخوارق والقدرات المطلقة لأفعاله المعجزة، وكانت أولى تلك الأساطير ما ورد فى أمر النبى إبراهيم عليه السلام عندما ألقاه قومه فى النار تلك القوة الخارقة المدمرة لأى كيان مادى لكن طبيعتها تستحيل إلى النقيض فتصبح برداً وسلاماً وينجو جسد النبى البطل من التدمير.

وتضيف الباحثة أن هذا ترديد لتلك القيمة المتكررة التى تنسج حول الأنبياء -الأبطال الأسطوريين- من حيث الغياب، الحضور، الموت، البعث، التدمير -رأى الصدع، والمثال الثانى نجده كما تقول الباحثة أيضاً فى قصة النبى أيوب عليه السلام الذى أعيد جسده إلى صحته بعد أن كاد يتعفن ونخر الدود فى لحمه وعظامه، والتفسير الدينى يرى أن إبراهيم كان صديقاً نبياً وأيوب كان صابراً تقياً لذا كانت المكافأة بحفظ الجسد من التدمير التام.

وتضيف الباحثة أنه من الأساطير الجديرة بالملاحظة تلك القائمة على تخيلات ابتلاع الجسد والنموذج الأمثل لها نجده فى قصة النبى يونس عليه السلام الذى ابتلعه الحوت أحد الثدييات المائية، وبقى فى جوفه ثلاثة أيام ثم لفظه على الشاطئ، إنها تخيلات الابتلاع.

أما ما يذكر حول جسد السيد المسيح فهو كثير المصادر والروايات كما تقول الباحثة هذا الجسد قدسته الطبيعة الإسلامية أكثر مما فعلته المسيحية "وما قتلوه وما صلبوه" أنه تم رفع الجسد إلى السماء، وفى العهد الجديد يذكر أنه بعد ثلاثة أيام كان الرفع إلى السماء إنها أسطورة الموت والبعث ثم العروج.

وتنتقل الباحثة بعد ذلك إلى النبى محمد صلى الله عليه وسلم وتقول: إن جسده أيضا قد أحيط بكثير من القدرات المطلقة أسوة بمن سبقه من الأنبياء، ففى طفولته كانت حادثة شق الصدر التى انتزع فيها جبريل قلبه من صدره وأخرج منه مضغة سوداء علامة على الحقد والكراهية ثم أعاد القلب إلى موضعه بعد أن تحرر من الضغينة والكراهية للناس.

أما حادثة الإسراء من مكة إلى المسجد الأقصى ثم العروج إلى السموات السبع فيما يعرف بحادثة الإسراء والمعراج فإنها أعطت للجسد قدرات مطلقة تخطى بها حدود الزمان والمكان[١].

وتنتهى الباحثة من رؤيتها فتقول: هكذا يطلعنا الفكر الدينى على القدرات المطلقة السحرية للفعل الجسدى والتى استطاع بها هؤلاء الأنبياء الأبطال أن يتخطوا حدود المكان والزمان والاستحالة من كيف والقدرة على الغياب والحضور وبعث الجسد وتحولاته وأيضاً التأثير على الأجسام المادية والبشرية وتغير كيفها أو تعديله "المعجزات" وأخيراً تقول الباحثة: إن تلك

---

(١) أنظر أخبار الحوادث ص٩ من يوم الخميس ٦ مايو ١٩٩٩م.

الوقائع التاريخية الدينية يمكن أن تعاد قراءتها فى ضوء الفكر الإنسانى من الخرافة الأسطورية إلى العقلانية التجريبية[١].

وهكذا ترى الباحثة أن معجزات الأنبياء من خروج سيدنا إبراهيم عليه السلام من النار سليماً، والإسراء والمعراج بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشفاء سيدنا أيوب عليه السلام، وخروج نبى الله يونس عليه السلام من بطن الحوت ما هى إلا تخيلات وأساطير اقتنع بها الناس.

وعندما قرأت هذه السطور وجدت فى نفسى رغبة ملحة فى الرد على هذه الافتراءات لأكشف زيفها وأحاول بتوفيق الله أن أبطل هذه الأقوال بالحجة والبرهان، فاستخرت الله عز وجل للكتابة فى هذا الموضوع وعنوانه "المنكرون لمعجزات الأنبياء" تكلمت فيه عن المعجزة وشروطها والفرق بينها وبين غيرها من الأمور الخارقة للعادة ثم تكلمت عن دلالة المعجزة على صدق الرسول وذكرت الأقوال فى ذلك ثم قمت بالرد على ما جاء فى الرسالة سالفة الذكر وبينت بطلانه، فإن كنت قد وفقت فى ذلك فلله الفضل والمنة وله الحمد فى الأولى والآخرة، وإن كانت الأخرى فحسبى أنى بشر والكمال لله وحده وأسأل الله عز وجل أن يتجاوز عن سيئاتنا إنه نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) أخبار الحوادث ص٩.

مفهوم المعجزة

المعجزة مأخوذة من الإعجاز، وحقيقته إثبات العجز فى الغير، ثم استعمل الإعجاز فى لازم معناه الحقيقى وهو إظهار العجز فى الغير ثم اسند مجازاً إلى ما هو سبب العجز وجعل اسماً له.

والتاء فى المعجزة للنقل من الوصفية إلى الاسمية كما فى كلمة الحقيقة أو هى للمبالغة كما فى كلمتى العلامة والفهامة[١].

والمعجزة عند علماء الكلام هى، أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة، وعرفها صاحب المواقف بقوله: ما قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله تعالى[٢] وعرفها سعد الدين التفتازانى بقوله: هى أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعى النبوة عند تحدى المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله[٣].

شرح التعريف وإخراج محترزاته:

قولهم بأنها أمر يشمل القول كالقرآن الكريم، والفعل كنبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم، وقلب العصا حية على يد موسى وشفاء المرضى على يد عيسى عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه، كما يشمل أيضاً

---

(١) شرح العقائد النسفية - سعد الدين التفتازانى ص١٣٣.

(٢) انظر كتاب المواقف لعضد الدين الايجى ص٣٩٩.

(٣) انظر كتاب المقاصد لسعد الدين التفتازانى ص١٧.

عدم الفعل ويعبر عنه بعضهم بالترك، كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام.

وقولهم: خارق للعادة: مخرج لما اعتاده الناس وألفوه مثل طلوع الشمس من المشرق وغروبها من المغرب، ونزول المطر عند درجة معينة من الحرارة، كما يخرج أيضاً آثار الصناعات المعقدة مثل الراديو والتليفزيون وما إلى غير ذلك مما هو نتاج عن النظريات العلمية التجريبية، فإن حصولها معتاد عند تحقق معارفها الكيميائية وتطبيق قواعدها العلمية، إذ كل هذه الأمور وأمثالها مرتبط بهذه القواعد والأسباب التى إذا عرفها الناس كانت معتادة بينهم ولم تكن خارقة للنواميس الطبيعية، فهى عبارة عن ربط الأسباب بمسبباتها بخلاف المعجزات فلم يكن لها سبب ترتبط به إطلاقا، بل هى خارقة للنواميس الكونية المعتادة تدليلاً على صدق دعوى من ظهرت على يديه.

ولهذا ذهب المعتزلة إلى القول بأن النبوة لا تثبت، ولا يثبت صدق الشخص الذى يدعى أنه يأتى بوحى من قبل الله تعالى إلا بالمعجزة، إذ أنه إذا ادعى شخص النبوة فإنه لا يثبت صدقه إلا إذا صدقه الله تعالى، والذى يدل على صدق النبى من جهته تعالى إنما هو المعجزة، وعلق المعتزلة بذلك وقوع البعثة على معرفة المعجزة وصار معرفة دلالة المعجز كالأصل لوقوع البعثة وثبوت الشرائع، كما أن حصول البعثة فرع عليها[1].

---

(١) المغنى فى أبواب التوحيد والعدل للقاضى عبد الجبار جـ١٥ ص١٤٨.

وقولهم مقرون بالتحدى: مخرج لكرامات الأولياء، فإنها أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح لكنه ليس مقروناً بالتحدى. ومخرج أيضاً للإرهاصات، وهى علامات تظهر على يد النبى قبل البعثة تأسيساً لها وإعدادا وتهيئة للأذهان بأن هذا سوف يختاره الله نبياً، ومخرج أيضاً لما يظهر على يد غيره، فإن ظهر على يد أحد العوام تخليصاً له من شدة مثلاً فهو معونة له لصلاحه، وإن ظهر على يد فاسق موافقاً له فاستدراج لأنه مقصود به خديعته، وسوف نوضح الكلام فى ذلك عند حديثنا عن الفرق بين المعجزة وغيرها من الأمور الخارقة للعادة.

وقولهم على وفق دعواه: مخرج لما إذا قال معجزتى نطق هذا الجماد فنطق بأنه مفتر كذاب لم تكن مصدقة لدعواه لأن الذى أنطق الجماد إنما هو الله سبحانه وتعالى تكذيباً للمدعى، بخلاف ما إذا قال معجزتى نطق هذا الميت فقام ونطق بأنه كذاب فلا يعتبر تكذيبه لأنه بعد إحيائه يكون مختاراً إن شاء صدقه وآمن به أولاً[1] أما المعجزة فإنها تحصل بإحيائه ومجرد نطقه كما قال، وأمر تكذيبه لا يدل على كذب الدعوى لأن الكفار كذبت الرسل ولم يعتبر تكذيبهم قادحاً فى صدق دعوى النبوة.

وقولهم مع عدم المعارضة: مخرج لمثل السحر والشعوذة فإنهما ليسا خارقين للعادة ويمكن معارضتهما -أى الإتيان بمثلهما- بتعلم قواعدهما وقوانينهما، بخلاف المعجزة فليس لها قواعد وقوانين ولا يمكن معارضتها.

---

(١) انظر كتاب المواقف ص٣٤٠.

شروط المعجزة:

لما كانت المعجزة هى آية صدق الأنبياء فى دعواهم كان لابد من شروط تعرف بها وتتميز حتى لا تشتبه بغيرها من الخوارق الأخرى، وقد ذكر المتكلمون للمعجزة شروطاً كثيرة أهمها ما يلى:

(١) أن يكون الأمر الذى يظهر على يد النبى من فعل الله تعالى، أو ما يجرى مجرى فعله، فالمعجزة أمر يجريه الله تعالى على يد النبى، وليس للنبى اختيار فى فعله وتركه لأنه من خلق الله تعالى، وإذن فكل أفعال الأنبياء الاختيارية ليست من قبيل المعجزات[١].

وكذلك ما يجرى مجرى فعل الله تعالى فإنه معجز، مثل ما إذا قال: معجزتى أن أضع يدى على رأسى وأنتم لا تقدرون عليه، أى على وضع أيديكم على رؤوسكم، فإنه إذا فعل وعجزوا عن ذلك فإنه معجز دال على صدقه ولا فعل لله ثمة لأن عدم خلق القدرة فيهم على ذلك الوضع ليس فعلاً صادراً عن الله تعالى بل هو عدم صرف ومن جعل الترك وجودياً بناء على أنه الكف حذفه لعدم الحاجة إليه.

(٢) أن يكون ناقضاً للعادة فيمن هو معجز له، وحجة عليه لأن الأعجاز لا يتم إلا إذا كان الأمر الظاهر على يد النبى خارقاً للعادة أى ما اعتاده الناس واستمروا عليه فترة بعد أخرى. وإذن فليس من المعجزات أن يقول مدعى النبوة آية صدقى طلوع الشمس فى كل يوم من حيث

---

(١) العقيدة النظامية ص٦٥.

تطلع، وغروبها فى كل يوم من حيث تغرب، إذ أن مثل هذا من الأمور المعتادة ولا يدل على الصدق لمساواة غيره إياه فى ذلك حتى الكذاب فى دعوى النبوة، وقد شرط قوم فى المعجز أن لا يكون مقدوراً للنبى لأنه لو كان مقدوراً كصعوده إلى الهواء ومشيه على الماء لم يكن نازلاً منزلة التصديق من الله تعالى، ولكن الايجى لم يعتبر هذا الرأى(١).

وقال: إن قدرة النبى مع عدم قدرة غير عادة معجز، وذكر أن الأمدى قال: هل يتصور كون المعجزة مقدوره للرسول أم لا؟

اختلف الأئمة فيه فذهب بعضهم إلى أن المعجز فيما ذكر من المثال ليس هو الحركة بالصعود أو المشئ لكونها مقدورة له بخلق الله فيه القدرة عليها، إنما المعجزة هناك هو نفس القدرة عليها، وهذه القدرة ليست مقدورة له.

وذهب آخرون إلى أن نفس هذه الحركة معجزة من جهة كونها خارقة للعادة ومخلوقة لله تعالى، وإن كانت مقدوره للنبى وهو الأصح(٢).

(٣) أن يظهر الأمر الخارق على يد مدعى النبوة أو الرسالة، فإن لم يكن من ظهر ذلك على يديه مدعياً النبوة أو الرسالة فلا يكون معجزة، ويخرج بهذا الشرط الكرامة وهى ما يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح

---

(١) شرح المواقف ص٩٨ تحقيق د/ عبد الرحمن بيصار.
(٢) شرح المواقف ص٩٩ تحقيق د/ بيصار.

كما حدث للسيدة مريم عليها السلام من وجود الرزق عندها من غير أن يأتى به أحد إليها، وكذلك يخرج المعونة، وهى ما يظهر على يد العوام من الناس تخليصاً لهم من شدة، وكذلك يخرج الاستدراج. وهو ما يظهر على يد فاسق خديعة ومكراً به كما حدث لفرعون اذ أعطاه الله الملك الكبير ثم انتهى به الأمر إلى الغرق والموت كافراً[١].

(٤) أن يكون الأمر الخارق مقارناً لدعوى النبوة أو الرسالة، فلا يجوز أن يكون متقدماً عليها، ولا أن يتأخر عنها تأخراً يعلم أنه لا يتعلق بها. ويخرج بهذا الشرط الإرهاص، وهو ما كان قبل النبوة والرسالة تأسيساً كإظلال الغمام لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وكتكلم المسيح عليه السلام فى المهد صبيا فإن هذه الأمور ليست من قبيل المعجزة، وإنما هى من قبل الإرهاص، أى الاستعداد لتلقى الرسالة من الله تعالى ولتهيئة الناس وتفهيمهم بأن هذا الشخص سيختاره الله ويصطفيه لنبوته فهو تأسس للنبوة من أرهصت الحائط أى أسسته[٢].

وبقيد المقارنة للدعوى يخرج الكاذب الذى يدعى النبوة، ويتخذ معجزات من مضى من الأنبياء حجة له فى دعواه.

(٥) أن يكون الأمر الخارق موافقاً لدعوى المدعى، فلو إدعى أحد النبوة وقال آية صدقى انفلاق البحر فانفلق الجبل، لم يدل هذا الأمر على

---

(١) الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد للإمام الجوينى ص٣٠٨.

(٢) شرح المقاصد جـ٢ ص١٧٧.

صدقه فى دعواه، لأنه لم يظهر على حسب ما حدده، فلا يكون معجزاً مصدقاً، وكذلك إذا قال معجزتى أن ينطق هذا الضب. فنطق وقال إنه كاذب وكذلك إذا قال معجزتى نطق هذا الجماد، فنطق بأنه مفتر كذاب، فنطق الضب أو الجماد أمر خارق للعادة ظهر على يد مدعى النبوة ومن أجل دعواه، ولكنه مخالف له فى دعواه، إذ شهد بكذبه ولم يصدقه، ولم يعلم بهذا صدقه فى دعواه النبوة، بل ازداد اليقين بكذبه، لأن المكذب هو نفس الخارق، وخرج هذا الخارق من أن يكون معجزة، لأن المعجزة من شأنها تصديق النبى فى دعواه وهذا لم يصدقه بل كذبه[1].

(٦) أن تتعذر معارضته، أى أن يتعذر على المتحدى به فعل مثله فى الجنس أو على الوجه الذى وقع به التحدى. فلو ادعى شخص النبوة وأتى بعمل من الأعمال دليلاً على صدقه فظهر من عرضه بذلك. لم يكن ذلك الفعل الذى أتى به المدعى للنبوة معجزة، وإنما يكون الفعل الذى يظهر على يد المدعى للنبوة معجزة حينما يعجز الناس جميعاً عن الإتيان بمثله، أو معارضة النبى فى فعله. وبهذا الشرط يخرج السحر والشعوذة وغرائب المخترعات من أن تكون معجزات.

فالسحر يبدو فى ظاهره أنه أمر خارق للعادة ولكنه ليس فى الحقيقة كذلك، إذ انه أمر يمكن تعلمه ومعرفته بالممارسة. وإذن فليس السحر خارقاً للعادة، وإنما هو أمر غريب بالنسبة لكثير من الناس. ولكنه مألوف عن

---

(١) شرح المواقف ص٩٩ وما بعدها.

أهله، وهو فعل الساحر بمساعدة الشياطين يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾[1] وكذلك غرائب المخترعات فإنها ليست من قبيل خوارق العادات، وإنما هى أمور عادية تخضع لقواعد علمية يعرفها من تعلمها ويتقنها من مارسها.

(٧) أن يكون ذلك فى زمن التكليف. وما يفعله الله تعالى قرب يوم القيامة من الخوارق على خلاف العادة ليس من المعجزات، لأن ما يقع فى الآخرة من الخوارق ليس بمعجزة، ويخرج بذلك ما يقع من المسيح عليه السلام قبل يوم القيامة من أمر السماء أن تمطر فتمطر وللأرض أن تنبت لأن ذلك ليس بمعجزة ولأن ما يظهر من هذه الأمور عند أشراط الساعة وانتهاء التكاليف لا يشهد بصدق الدعوة لكونه زمان نقض العادة وتغيير الرسوم[2].

أقسام المعجزات:

بناء على تعريف المعجزة وشروطها عند علماء الكلام فإن المعجزات

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ١٠٣.

(٢) شرح المقاصد جـ٢ ص١٧٧.

عندهم تعددت إلى أنواع غير أنها فى الجملة ترجع إلى نوعين:

النوع الأول:

وجود فعل غير معتاد وهو على ضربين:

أحدهما:

لا يدخل تحت قدرة من هو معجز له وفيه، ولا تحت قدرة غيره من الخلق ولا يقدر عليه غير الله عز وجل مثل اختراع الألوان والحواس وإحياء الموتى، وإبراء الأكمة والأبرص وقلب العصا حية ونحو ذلك.

ثانيهما:

يدخل تحت قدرة من هو معجز فيه وله، وعلى الوجه الذى أظهره الله عليه، وإن دخل مثل أبعاضه وجنسه تحت قدرة العباد بأن يكتسبوه فى أنفسهم وهذا مثل الكلام المنظوم نظم القرآن فى فصاحته وبلاغته المفارقة لبلاغات البلغاء، وإن كان جنس العبارات ومفردات الألفاظ وبعض أنواع التراكيب منها مقدوراً للعباد(١).

النوع الثانى:

تعجيز الفاعل بشىء معتاد عن فعل مثله كمنع زكريا عليه السلام من الكلام ثلاث ليال بعد أن معتاداً له للدلالة على صحة ما بشر به من الولد.

---

(١) أصول الدين للبغدادى ص١٧١.

وإذن فالمعجزات منها ما هو من أفعال الله تعالى لا يقدر على جنسها غيره كإحياء الموتى، وإبراء الأكمة والأبرص، وقلب العصا حية وفلق البحر، وإمساك الماء فى الهواء وتشقيق القمر، وإنطاق الحصى، وإخراج الماء من بين الأصابع ونحو ذلك، ومنها ما هو خلق لله تعالى، وكسب لصاحب المعجزة كإقداره على الطير إلى السماء وعلى قطع المسافات البعيدة فى الساعات القصيرة[1].

وهناك من قال: أن المعجزة تنقسم إلى ثلاثة أقسام هى:

القول. الفعل. الترك.

فالقول:

كالقرآن الكريم الذى أيد الله تعالى به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وطلب من العرب وهم أرباب الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم طلب منهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا، ثم طلب منهم أن يأتوا بأقصر سورة منه فعجزوا.

وأما الفعل:

كانقلاب العصا حية على يد موسى عليه السلام، وإحياء الموتى بإذن الله على يد عيسى عليه السلام، ونبع الماء من أصابع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) نفس المصدر ص١٧٣.

وأما الترك:

فكعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام.

الفرق بين المعجزة وغيرها من الخوارق:

سبق أن ذكرنا فى تعريف المعجزة أنها أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعى النبوة تصديقاً لدعواه مقروناً بالتحدى وعجز المعارضين عن الإتيان بمثلها، وعلى هذا فالمعجزة تشترك مع غيرها من خوارق العادات فى أن كلاً منهما خارق للمعتاد والمألوف ولهذا يجب أن نذكر الفروق بينها وبين غيرها حتى لا يلتبس الأمر.

أولاً: الفرق بين المعجزة والإرهاص:

أن المعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعى النبوة مقرون بالتحدى موافق لطلب الرسول مع عدم المعارضة.

أما الإرهاص: فهو أمر خارق يظهر على يد الأنبياء قبل بعثتهم مقدماً للنبوة وتأسيساً لها[1] وذلك مثل كلام عيسى فى المهد وتظليل الغمام لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشق صدره وظهور النور فى جبين آبائه إلى غير ذلك.

والفرق بينه وبين المعجزة:

أن الإرهاص يكون قبل الرسالة كمقدمة وتأسيس فى حين أن المعجزة

---

(١) العصام على شرح العقائد النسفيه ص٣١.

لا تكون إلا بعد التكليف، كما أن الإرهاص أمر خارق للعادة ولكنه لا يتحدى به فى حين أن المعجزة لا تكون كذلك لأنه يتم التحدى بها ويرى بعض المتكلمين أن الإرهاص من قبيل المعجزة، وعلى هذا فلا فرق بينهما عندهم.

وهذا الرأى لا يعتد به لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكلف بعد حتى يسمى ما يظهر على يديه معجزة، وعلى هذا فالمعجزة يقصد بها الإعجاز والتحدى وظهورها على يد النبى بعد بعثه، أما الإرهاص فبخلاف ذلك[١].

ثانياً: الفرق بين المعجزة والكرامة:

الكرامة تعرف بأنها:

أمر خارق للعادة غير مقارن لدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها يظهره الله على يد عبد صحيح الاعتقاد ظاهر الصلاح[٢].

والفرق بينها وبين المعجزة:

أن المعجزة لابد فيها من الظهور والتحدى، أما الكرامة فقد يخفيها صاحبها ولا يتحدى بها، كما أن المعجزة مقرونة بدعوة النبوة، أما الكرامة فإنها ليس فيها دعوى النبوة.

وهناك فرق بينهما وهو: أن صاحب المعجزة مأمون التبديل معصوم

---

(١) حاشية الدسوقى على أم البراهين ص١٧٧.

(٢) انظر توضيح العقيدة فى التوحيد على شرح نظم الخريدة ص٤٧.

عن الكفر والمعصية بعد ظهور المعجزة عليه، وصاحب الكرامة لا يؤمن بتبديل حالة كما هى حالة بلعم بن باعوراء أوتى ما لم يؤت غيره ثم ختم له بالشقاء[١].

أما على رأى من يقول أن الكرامة يتحدى بها، فإن المعجزة تفترق عن الكرامة بدعوى النبوة يقول الشيخ الدسوقى.

لقد وقع خلاف هل يجوز للولى أن يدعى الولاية بأن يقول: أنا ولى الله وآية صدقى أن ينفلق البحر مثلاً، أو لا يجوز؟ الصحيح الجواز وأنه لا تفترق المعجزة عن الكرامة إلا بدعوى الرسالة فقط، فإخراج الكرامة بقيد التحدى الذى هو دعوى الخارق دليلاً مبنى على القول بأنه لا يصح أن يكون هناك ولى يدعى الولاية ويقول آية صدقى كذا، أما على القول بصحة ذلك فيفسر التحدى بدعوى التحدى لإخراج كرامة الولى[٢].

ويجب أن يعلم سواء أكانت الكرامة يتحدى بها أم لا يتحدى بها أن الأولياء كما لا يبلغون فى درجاتهم درجات الأنبياء فكذلك ما يجريه الله من خوارق لا يصل إلى المعجزات التى أجراها الله تعالى على يدى الأنبياء تصديقاً لهم.

كما أن كرامات الأولياء تدل على صحة ما جاء به الرسل من عند الله لأن الأولياء ما سموا أولياء إلا لأنهم قد التزموا منهج الرسل فتولاهم الله

---

(١) أصول الدين للبغدادى ص١٧٥.

(٢) حاشية الدسوقى على أم البراهين ص١٦٣.

بحفظه ورعايته ولم يكلهم إلى أنفسهم ولا إلى غيرهم لحظة، يقول الشهر ستانى:

أعلم أن كل كرامة تظهر على يد ولى فهى بعينها معجزة لنبى إذا كان الولى فى معاملاته تابعاً لذلك النبى، وكل ما يظهر فى حقه فهو دليل على صدق أستاذه وصاحب شريعته، فلا تكون الكرامة قادحة فى المعجزات بل هى مؤيدة لها دالة عليها وعائدة إليها[1].

هذا الفرق بين المعجزة والكرامة على رأى الأشاعرة القائلين:

إن الكرامة ممكنة عقلاً وواقعة فعلاً، واستدلوا على إمكانها بأنها أمر لا يلزم من فرض وقوعه محال وكل ما كان كذلك فهو ممكن عقلاً.

واستدلوا على وقوعها فعلاً بما لا سبيل إلى دفعه فى مواقع السمع فقد حكى لنا القرآن الكريم قصة أصحاب الكهف وما جرى لهم، كما حكى لنا القرآن الكريم قصة مريم والدة المسيح عليه السلام التى خصت بفاكهة الصيف فى الشتاء، وفاكهة الشتاء فى الصيف مع أنه كان لا يدخل عليها إلا زكريا عليه السلام الذى كانت فى كفالته.

كما استدلوا بما وقع من كرامات الصحابة والتابعين رضى الله عنهم كمخاطبة عمر بن الخطاب وهو على المنبر لسارية من مسافة شهر -يا سارية الجبل الجبل- وسمع سارية عمر رضى الله عنه، وغيرها الكثير.

أما جمهور المعتزلة فلقد أنكروا ظهور الكرامات للأولياء واحتجوا على ذلك بقولهم إن ظهور الكرامة للأولياء يقدح فى دلالة المعجزة على

---

(١) نهاية الاقدام للشهر ستانى ص٤٩٧.

النبوة، إذ يجوز أن يظهر ما كان معجز لنبى على يد ولى، وذلك يؤدى إلى القدح فى النبى المتحدى[١] كما احتجوا أيضاً بقولهم: إن الكرامة لو ظهرت لكثرت كثرة الأولياء وخرجت عن كونها خارقة للعادة[٢].

ويجاب عن ذلك بأن الكرامة لا تكون من مدعى النبوة، كما أنها لا تكون قادحة فى النبوة وإنما تدل كما سبق على صحة ما جاء به الرسل من عند ربهم، يقول الشيخ السنوسى إن ما يظهر على يد الولى من الكرامات ببركة متابعته للرسول والاقتداء به فهو أحق بالدلالة على صدق المتبوع وعاضد له[٣].

أما قولهم بأن كثرة ظهورها لكثرة الأولياء يخرجها عن كونها خارقة للعادة فيجاب عنه بأن ظهور كثرة الخوارق على يد الأولياء لا يجعلها من الأمور المعتادة وإنما غايته استمرار نقض العادة بكثرة خوارق العادات[٤].

ثالثاً: الفرق بين المعجزة والمعونة:

المعونة:

هى أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبد مستور الحال من عوام المسلمين غير مدع للنبوة تخليصاً له من شدة نازله به كنزول المطر بعد انحباسه أو رفعه بعد نزوله بشرط أن يكون غير معتاد حصوله فى ذلك الوقت الذى ظهر فيه ومثالها كما جاء فى السنة عن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما– قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم يقول:

---

(١) دراسات فى علم الكلام وقضاياه د/ عبد المقصود عبد الغنى ص١٤٤.

(٢) شرح المقاصد ص٧١.

(٣) شرح السنوسية ص٤٤٧.

(٤) السمعيات من شرح المقاصد ص٧١.

انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا، إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالا فنأى بى فى طلب شىء يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ومالا، فلبثت والقدح على يدى انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا، فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج، وقال الآخر: اللهم كانت لى بنت عم كانت أحب الناس إلى فأردتها عن نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى وتركت الذهب الذى أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، وقال الثالث: اللهم إنى استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءنى بعد حين فقال يا عبد الله. أد إلى أجرى، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بى، فقلت: إنى لا استهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء

وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون[١].

والفرق بين المعجزة والمعونة واضح، وذلك لأن المعونة لا يتحدى بها فى حين أن المعجزة يتحدى بها، كما أن المعونة لم يدع صاحبها النبوة فى حين أن المعجزة تكون مصاحبة لدعوة النبوة، فالفرق بينهما واضح فلا ادعاء للنبوة ولا تحدى ولا مقارنة للدعوى إلى غير ذلك من قيود المعجزة.

رابعاً: الفرق بين المعجزة والاستدراج:

الاستدراج:

أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد فاسق يدعى الألوهية على وفق مراده ومطلوبه خديعة له وابتلاء للمكلفين[٢] كما ورد فى شأن المسيح الدجال وظهوره قرب قيام الساعة مدعياً الألوهية يقول للسماء أمطرى فتمطر فمن آمن به يدخله جنته التى معه فتطرحه الملائكة إلى النار، ومن كفر به يدخله ناره التى معه فتدخله الملائكة الجنة.

فالاستدراج وإن كان خارقاً للعادة إلا أن الفرق بينه وبين المعجزة ظاهر، إذ الاستدراج خارق يقع على يد كاذب مدع للألوهية استدراجاً ومكراً به ليزداد عتوا ثم يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر، والمعجزة تكون على يد مدعى النبوة تصديقاً له.

---

(١) الحديث رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما.

(٢) العقائد النسفية ص٣٣.

خامساً: الفرق بين المعجزة والإهانة:

الإهانة:

أمر خارق يظهر على يد مدعى النبوة كذباً إهانة له، فالنبى حينما يقول أنا نبى وآية صدقى انشقاق القمر أو فلق البحر ويظهر الله على يديه هذه الخوارق دل ذلك على أنه نبى مرسل.

أما المتنبئ الكاذب إذا قال آية صدقى أن أبصق فى هذا البحر فيزداد ماؤه ويأتى الخارق على عكس المطلوب فيذهب ماؤه فيذعن الحاضرون بتكذيبه وقد وقع لمسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تفل فى أعين الأعور لتبرأ فعميت السليمة[١].

وعلى هذا فالفرق بين المعجزة والإهانة، أن المعجزة تكون على وفق الدعوى تصديقاً للنبى، والإهانة على خلاف الإدعاء تكذيباً فورياً للمدعى حتى لا يضل الناس ويخدعهم بادعائه الكاذب.

سادساً: الفرق بين المعجزة والسحر:

السحر فى اللغة عبارة عما لطف وخفى سببه وخدع به.

وفى الشرع: هو مختص بكل أمر يخصه سببه وتخيل على غير حقيقته ويجرى مجرى التمويه والخداع[٢].

---

(١) السمعيات من شرح المقاصد ص٧٦.

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين - الرازى ص٦٣٧.

وقد اختلف المتكلمون فى حقيقته، هل هو خارق أم لا؟ فذهب بعضهم ومنهم صاحب المقاصد إلى القول بأن السحر خارق للعادة يظهره الله على يد نفس شريرة خبيثة بمباشرة أعمال مخصوصة[١].

وبعض المتكلمين يرى أن السحر ليس خارقاً للعادة وإنما يحصل بالتعلم ومباشرة أشياء لو مارسها الشخص لعرف السحر، وقد ذهب إلى هذا الرأى صاحب حاشية الخيالى حيث قال: إن السحر ليس من الخوارق وإن أطبق القوم عليه لأنه مما يترتب على أسباب كلما باشرها أحد يخلقه الله عقبها البتة[٢].

والفرق بين السحر والمعجزة ظاهر، إذ السحر يكتسب بالتعليم ويستعين فاعله بالشياطين ولا يتحدى به وليس مقروناً بدعوى النبوة بخلاف المعجزة فإنها ليست مكتسبة بل هى من فعل الله تعالى ويتحدى بها وتظهر على يدى مدعى النبوة وهناك فروق أخرى نذكرها فيما يلى:

(١) أن الحسر ليس خارقاً للعادة عند بعضهم بينما المعجزة لم يختلف المليون فى أنها خارقة للعادة.

(٢) أن السحر وما يجرى مجراه مختص بما عمل له حتى أن أهل هذه الحرف إذا استدعاهم الملك لصنع هذه الأمور طلبوا منه أن يكتب أسماء الحاضرين فيصنعون صنيعهم لمن سمى لهم فإن حضر غيرهم فإنه لا يرى شيئاً مما يراه من كتبت أسماؤهم بخلاف المعجزة.

---

(١) شرح المقاصد ص٧١.

(٢) حاشية الخيالى على العقائد النسفية ص٣٢.

(٣) قرائن الأحوال المفيدة للعلم اليقينى القطعى المختصة بالأنبياء عليهم السلام المفقودة فى حق غيرهم، فنجد النبى عليه السلام أشرف الناس نشأة ومولدا وشرفاً وخلقاً وأدباً وأمانة وزهادة وإشفاقا ورفعا وبعداً عن الدنايا والكذب والتمويه، أما الساحر فهو شرير مخادع لا يستعمل السحر إلا لنيل أغراضه ومآربه، ألا ترى قوله تعالى: (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين) فالسحر يهتك حرمة الآداب لبلوغ مناه ولا يعود بالمنفعة العامة والدائمة من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بل أعماله تعود بالإفساد[١].

(٤) إن السحر معروف وينتهى بالفراغ منه بينما المعجزات باقية ومستمرة مثل الناقة فى قوم صالح والقرآن الكريم من معجزات محمد صلى الله عليه وسلم كما أن السحر لا يكون إلا بشروط مخصوصة فى أوقات مخصوصة بخلاف المعجزات[٢].

(٥) إن المعجزة يظهرها الله تعالى على يد مدعى النبوة، والسحر يظهره على يد فاسق، والمعجزة أيضاً يتحدى بها ولا يمكن معارضتها بخلاف السحر فإنه لا يتحدى به لأنه يمكن معارضته.

---

(١) الدليل الصادق على وجود الخالق وبطلان مذهب الفلاسفة ومنكرى الخوارق للشيخ عبد العزيز عبد الرحمن جاب الله ص١٤١.

(٢) إيثار الحق على الخلق ورد الخلافات إلى المذهب الحق لأبى عبد الله محمد بن المرتضى ص٦٥.

يقول الإمام ابن تيميه رحمه الله:

ما يأتى به الساحر من أمور يمكن معارضتها وبإبطالها من بنى جنسه وغير بنى جنسه وخوارق الأنبياء لا يمكن غيرهم أن يعارضها ولا يمكن إبطالها لأحد من جنسهم ولا من غير جنسهم، لأن الأنبياء يصدق بعضهم بعضا فلا يتصور أن نبياً يبطل معجزة آخر وإن أتى بنظيرها فهو يصدقه ومعجزة كل منهما آية له وللآخر أيضاً بخلاف ما يأتى به السحرة[1].

إمكان المعجزة ووقوعها:

بعد أن تكلمنا عن تعريف المعجزة وشروطها سنتكلم عن امكانها والرد على المنكرين لثبوتها ووقوعها فنقول:

المعجزة من الأمور الممكنة التى يجريها الله على أيدى بعض عباده، وليست من قبيل المستحيلات العقلية، كل ما فى الأمر أنها مخالفة للسير الطبيعى الخاص بالمادة والعادات المعروفة والقوانين المألوفة لدى العقل البشرى، وهذا لم يقم دليل على استحالته بل هو مما يشاهد وقوعه.

ورغم اتفاق الأديان على وقوع المعجزة فقد قال فريق من الناس لا يعبأ بهم من المناوئين للأديان باستحالتها أو عدم دلالتها على صدق من ظهرت عل يديه وعلى هذا فقد اختلفت الآراء حول حقيقة المعجزة وإمكانها إلى ما يلى:

---

(١) انظر النبوات لابن تيميه ص٢١.

الرأي الأول:

وأصحابه يرون أن المعجزة من الأمور الممكنة عقلاً الواقعة فعلاً فهى ممكنة فى ذاتها والعقل لا يمنعها والعلم لا ينفيها والواقع يؤيدها.

أما أنها من الأمور الممكنة عقلاً فلأن العقول السليمة تشهد أن المعجزة فعل من أفعال الله تعالى، خارق لما اعتاده الناس على أيدى رسله تصديقاً لهم، لأن الله تبارك وتعالى هو الخالق لكل ما فى الكون، وهو الذى صنع الناموس الذى تسير عليه الأحداث الكونية وتخضع له، وكون المعجزة مخالفة للسير الطبيعى المعروف فى إيجاد الأشياء ليس من نوع المستحيل العقلى بل ذلك مما يقع كما يشاهد فى حال المريض يمتنع عن الأكل مدة لو لم يأكل فيها وهو صحيح لمات مع وجود العلة التى تزيد الضعف وتساعد الجوع على الإتلاف.

فإن قيل: إن ذلك لابد أن يكون تابعاً لناموس أخر طبيعى قلنا: إن واضع الناموس هو موجد الكائنات فليس من المحال عليه أن يضع نواميس خاصة بخوارق العادات غاية ما فى الأمر أننا لا نعرفها، ولكننا نرى أثرها على يد من اختصه الله بفضل من عنده[1].

وأما أن المعجزة وقعت فعلاً: فلأنه قد نقل إلينا بالتواتر أن الله أيد رسله بالمعجزات وأن القرآن الكريم هو معجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. الخالدة وقد ثبت فيه معجزات الأنبياء.

---

(١) رسالة التوحيد للأمام محمد عبده ص٨٢.

كما أن العلم لا ينفيها: فقد أثبت العلم الحديث أن النواميس الطبيعية يمكن تخلفها عن إحداث آثارها بنواميس أخرى أرقى منها، كما أثبت أيضاً أن معجزات الرسل والأنبياء كلها صحيحة، والناظر فيما كتبه العلماء المحدثون عن عالم الروح وعجائب استحضارها وغرائب التنويم المغناطيسى وما أشبه ذلك يدرك لا محالة أن هذه الخوارق ممكنة وليس شيء منها بمحال[1].

وقد كتب العالم الروسى "ايما نويل ميكوفسكى" العالم فى الطبيعيات مؤكداً وقوع المعجزات للأنبياء فذكر بالأرقام المحسوسة وقوف الشمس ليوشع بن نون، وفلق البحر لموسى وانشقاق القمر لمحمد -عليهم جمعياً صلوات الله وسلامه- إلى غير ذلك من الآيات مما يدل دلالة قاطعة على امكانها ووقوعها فقال: ان نيزكاً هائلاً مر بجانب الكرة الأرضية فى عهد يوشع خليفة موسى عليه السلام ثم عادت الظاهرة بعد ذلك إلى الوجود بسبعمائة عام، وهذه الظاهرة الكونية الهائلة التى تسيرها قوى خارقة غير مرئية تفسر المعجزات التى جاء ذكرها فى الكتب السماوية، ثم ذكر ظواهر كونية أخرى تدل دلالة صحيحة على وقوع الخوارق منها فلق البحر، وانعقاد أعمدة الغمام فى الليل والنهار وقد مر مركب فى عهد الفراعنة فأمطر سيلاً أحمر طبع الأرض والبحر والنيل بلون الدم، وهذا يؤيد ما جاء فى الآية الكريمة فى قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا مجرمين﴾[2].

---

(١) العقائد الإسلامية للشيخ سيد سابق ص١٠٨.

(٢) سورة الأعراف الآية رقم ١٢٣.

وهكذا نرى أن العلم الحديث يثبت معجزات الأنبياء ويرى أنها ممكنة وواقعة.

الرأي الثاني:

وأصحابه يذهبون إلى القول باستحالة المعجزة، وهم مختلفون في موقفهم منها فمنهم من يقول بإنكارها بتاتاً، وفرقة أخرى تنكر دلالتها على صدق الرسل، وثالثة تقرها وتقر دلالتها على من ظهرت على يديه لكن بالنسبة لمن شاهدها فقط أما الغائبون فلا تفيدهم.

وهؤلاء قد عميت قلوبهم عن الحقيقة الواضحة وظلوا في جهلهم يتخبطون، وفي ظلمات الجهل يعمهون، وهم يرمون من وراء انكارهم لمعجزات الأنبياء الطعن في النبوات. وسوف نذكر أقوالهم ثم ندحضها بالحجة والبرهان. ويمكن لنا أن نقسم هذه الفرق إلى فريقين.

الفرقة الأولى: المنكرون للمعجزات أصلاً:

يرى البراهمة وغيرهم أن المعجزات من المستحيلات العقلية لأنها أمور تجرى على مخالفة السنن العادية، وفي ذلك سفسطة وتمويه يتنافى مع المنطق السليم حيث أننا لو جوزنا خرق العادات (المعجزات) لجاز انقلاب الجبل ذهباً، وأوانى البيت تمرا، وماء البحر دهنا، وتولد الكبير من بطن أمه مرة واحدة وبلا أب وأم، وكون من ظهرت على يديه المعجزة غير مدعى النبوة بأن يعدم حال ادعائه النبوة، ويظهر مثله حال اعدامه فيكون ظهور المعجزة على يد المثل، وهذا يؤدى إلى الخلط والاخلال بالقواعد المنطقية.

ومعنى ذلك أن يكون الشخص الذى تطلب فيه دينك غير الذى عليه الدين، وأن يكون الآتى بالأحكام الشرعية اشخاصاً مماثلين للذين ثبتت نبوتهم بالمعجزة، وهذا فاسد وإذا كان تجويز الخوارق يترتب عليه مفاسد كثيرة هكذا فالقول به مستحيل، ومن هنا كانت البعثة مستحيلة أيضاً كما تقدم[١].

الرد على فرقة البراهمة:

إن ما ذكرته فرقة البراهمة ومن على شاكلتها فى الرأى من القول باستحالة المعجزة يمكن الرد عليه بما يلى:

أولاً:

أن المعجزة ليست مستحيلة ولا يترتب عليها مفاسد كما ذكروا، وإنما معنى كونها خارقة للعادة أنها مخالفة للسير الطبيعى والسنن الكونية المعروفة لدى البشر فى إيجاد الحوادث، وهذا لم يقم دليل على استحالته، بل دلت الحوادث الكونية على وقوعه كما تقدم.

والمراد بخوارق العادات أمور ممكنة فى نفسها ممتنعة فى العادة على أنها لم تجر العادة لوقوعها كانقلاب العصا حية، وامكانها ضرورى.

وخرق العادة ليس بأعجب من خلق السموات والأرض وما بينهما ومن انعدامها الذى نقول نحن به، والجزم بعدم وقوع بعضها كما فى الأمثلة المذكورة لا ينافى إمكانها فى نفسها[٢].

---

(١) شرح المقاصد جـ٢ ص١٧٧.

(٢) شرح المواقف جـ٢ ص٤١٦.

ثانياً:

أننا نجزم بأن صانع الكون قادر على كل شيء وهو مختار في إيجاد الكائنات فبالضرورة نجزم أيضا أنه يمتنع عليه أن يحدث الحادث على أى هيئة وتابعاً لأى سبب إذا سبق فى عمله أنه يحدثه حيث كان من الممكنات، ومن متعلقات قدرته فتحقق من ذلك أن الخوارق ليست من قبيل المستحيلات، ولا يترتب على خرق العادة مفاسد أو إخلال بالنظم الطبيعية كما يدعى هؤلاء.

يقول صاحب المواقف: ثم إن خرق العادة اعجاز لنبى أو كرامة لولى عادة مستمرة توجد فى كل عصر وآن، فلا يمكن للعاقل المنصف انكاره فلا يكون حينئذ خرقاً للعادة بل أمراً عادياً والمعجزة عندنا ما قصد به تصديق مدعى الرسالة وإن لم يكن خرقاً[1].

تعقيب على هذه العبارة:

وقد تشكل هذه العبارة على البعض، فيظن أن صاحب المواقف يرى أن المعجزة والكرامة أمران عاديان، ولتوضيح هذا النص وما قد يؤخذ عليه نقول:

أولاً:

أن قوله: (خرق العادة ... عادة) يشعر بالتناقض، إذ كيف يكون الخارق للعادة عادة.

---

(١) شرح المواقف جـ٢ ص٢١٦.

ثانياً:

(أن قوله عادة مستمرة توجد فى كل عصر) هذا ظاهر فى كرامة الأولياء، أما بالنسبة للأنبياء فإنها ليست مستمرة فى كل عصر.

ثالثاً:

أن قوله فى التعريف (أنها ما قصد به تصديق مدعى الرسالة وإن لم يكن خارقاً) مخالف للشرط الثانى من شروط المعجزات وهو كونها خارقة للعادة -كما سبق- هذا ما يتبادر إلى الذهن أولاً، ويمكن أن نزيل هذا الالتباس بما يلى:

١- أن قوله (خرق العادة ... عادة) أى مألوف لدى الأنبياء حيث أن خرق العادة قد تكرر لدى كثير من الأنبياء حتى أصبح مألوفاً فيما بينهم وليس عادة مألوفة بالنسبة إلى من بعثوا إليهم.

٢- معنى استمرارها فى كل عصر، هذا بالنظر إلى معجزة القرآن الكريم فقط لأنها لم تنقض معجزته بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم، بل هو مستمر فى كل عصر سابق لهذا الزمن أو لاحق له خارقاً يتحدى به المعارضين أن يأتوا بمثله أو عشر سور من مثله، أو سورة من مثله.

٣- ومعنى قوله فى تعريف المعجزة هى (ما قصد به تصديق مدعى الرسالة وإن لم يكن خارقا) أى لم يكن مألوفاً بين الأنبياء والرسل،

وهذا يظهر فى أول رسول ظهر على يديه الخارق، فإنه ليس مألوفاً لأنه أول خارق ظهر على يد هذا الرسول ومعنىهذا أن المعجزة لابد فيها من خارق للعادة بالنظر إلى المبعوث إليهم.

الفرقة الثانية: التى تعترف بالمعجزة ولكنها تمنع دلالتها على صدق الرسل:

إلى جانب الفرقة التى تنكر المعجزة أصلا هناك فرقة تعترف بوجود المعجزة ولكنها تمنع دلالتها على صدق الرسل، وقد استندت إلى شبه نذكرها ونجملها فيما يلى:

الشبهة الأولى:

قالوا فيها يحتمل أن يكون هذا الفعل الخارق للعادة ليس من فعل الله تعالى بل لعله من فعل المدعى وحينئذ لا ينزل منزلة التصديق، كما يحتمل أن يكون لنفس المدعى خاصية وماهية بخصوصه يخالف النفوس الأخرى فيمكن بذلك أن يحدث الأشياء التى يعجز عنها الأخرون، كما يجوز أن يكون لمزاج خاص فى بدنه أقوى من أمزجة الآخرين فيفعل مالا يستطيع فعله غيره، أو لسحر فاق فيه أقرانه، كما يحتمل أن يكون لطلسم اختص بمعرفته فيجوز أن يكون هذا الشخص عالماً بنوع من الطلاسم لا يعرفه غيره وبه تحدث القوى السماوية أشياء فى القوى العنصرية، ويحتمل أيضا أن يكون ذلك الخارق حاصلاً من خاصية بعض المركبات التى تستتبع أثاراً عجيبة كالمغناطيس والكهرباء إلى غير ذلك وبهذا لا يكون الخارق من فعل الله فلا يدل على التصديق[1].

---

(١) شرح المقاصد جـ٢ ص١٧٨.

الشبهة الثانية:

قالوا فيها: يجوز أن يكون الخارق من فعل الملائكة فإنهم يقدرون على الإتيان بأشياء غريبة يعجز عنها البشر وكذلك الشياطين فإنها موجودة عند أهل السنة وقادرة على أفعال خارقة للعادة، كما يجوز أن يكون من فعل الفلكيين والمنجمين لاتصالهم بمعرفة النجوم وحركاتها، ويمكنهم كذلك الإخبار بالمغيبات فيجوز أن يكون مدعى النبوة منهم كما يحتمل استناده إلى الاتصالات الكوكبية وأقطارها الحادثة من الحركات الفلكية.

الشبهة الثالثة:

قالوا فيها: إن هذا الخارق يحصل للأولياء ويسمى كرامة فيجوز حصوله للأنبياء كرامة أيضاً.

الشبهة الرابعة:

قالوا فيها: لو سلمنا أن هذا الخارق من فعل الله إلا أنه لا يكون لأجل التصديق لأن أفعال الله لا تعلل بالأغراض عندكم، إما لانتفاء الغرض فى فعله على ما هو المذهب وإما لثبوت غرض آخر، مثل أن يكون لطفاً بمكلف أو إجابة لدعوته أو معجزة لنبى آخر، أو ابتلاء للعبد لينال الثواب بالتوقف عن موجبة، أو النظر والاجتهاد فى دفعه كما فى انزال المتشابه أو إضلالا للخلق على ما هو المذهب عندكم من أن الله يضل من يشاء من عباده[1].

---

(١) شرح المقاصد جـ٢ ص١٧٩.

فمنكرو النبوة يقولون: إن ما ظهر على يد مدعى النبوة يحتمل أن لا يكون من أجل التصديق، إما لانتفاء الغرض عن الله تعالى كما هو مذهب الأشاعرة الذين قالوا ان افعال الله تعالى غير معللة بعلة، والأغراض كلها منتفية عن أفعاله، وإما أن يكون الله تعالى قد أظهر الخارق على يد مدعى النبوة لغرض آخر غير التصديق فقد يكون ذلك منه تعالى لطفاً بمكلف أو إجابة لدعوته أو معجزة لنبى آخر وعلى كل حال فهم يرون أن ظهور الخارق على يد مدعى النبوة لا يدل على صدق المدعى.

الشبهة الخامسة:

قالوا فيها: أنه لا يلزم من تصديق مدعى الرسالة صدقه فى الواقع إلا إذا علم استحالة الكذب على الله تعالى عقلاً، وقد قلتم انه لا يقيم منه شىء فيكون ذلك بدليل السمع فيلزم الدور لتوقف السمع على ثبوت النبوة وتوقفه على ورود السمع باستحالة الكذب على الله تعالى، وهذا دور باطل فما أدى إليه من تصديق مدعى الرسالة بالمعجزة باطل أيضا[1].

الشبهة السادسة:

قالوا فيها: لعل التحدى الحاصل من الرسول لم يبلغ القادرين على معارضته أو لعلة بلغهم وتركوا المعارضة تواطئاً مع المدعى لينالوا بذلك كسباً أو مغنما عند تمام دعوته أو لعل التحدى وصل إلى المعارضين ولكنهم استهانوا بالمدعى وظنوا أن دعوته لا يكتب لها البقاء والنجاح ولا يقبلها

---

(١) من مباحث علم الكلام ص١٦٣، د/ على حسن محمد.

الناس فتموت فى مهدها فسكتوا عن المعارضة مع قدرتهم عليها وتمكنهم منها، فلما كثر اتباعه وقويت شوكته خافوا فلم يقدروا على المعارضة مع استعدادهم لها فى أنفسهم، أو لعل ما يحتاجون إليه من شئون الحياة شغلهم عن معارضة المدعى.

ويجوز أن يكون مدعى النبوة عورض ولم تظهر لماتع منع المعارض عن إظهارها، وكل هذه الاحتمالات تنفى أن يكون الذى ظهر على يد مدعى النبوة معجزاً مصدقاً له فى دعواه(١).

هذا ما أورده القائلون بعدم دلالة الخارق على صدق مدعى النبوة والرسالة، وفى الحقيقة لو نظرنا إلى هذه الشبه نجدها شبه مبنية على احتمالات وتجويزات عقلية وليست أدلة مقنعة يعتمد عليها المستدل أو يقتنع بها الخصوم.

موقف الإسلام من هذه الشبهة:

تعرضنا -فيما سبق- لموقف القائلين بوجود خوارق للعادات إلا أنهم يرون أنها لا تدل على صدق مدعى الرسالة، وقد استندوا إلى شبة تبين لنا من خلال عرضنا لها أنها عبارة عن مجموعة من الاحتمالات والتجويزات العقلية التى لا تقوى على معارضة الثابت بالأدلة القطعية اليقينية، كما أنها تتنافى مع العلم الضرورى العادى كما فى المحسوسات المشاهدة فإن تجويز غيرها لا يمنع من الجزم بوجودها.

ويمكن لنا أن نرد على الشبه سالفة الذكر وذلك على النحو التالى:

---

(١) توضيح العقيدة ص ٣١٠.

واقعاً بأمر الله تعالى وتمكينه، ولولا ذلك ما استطاع النبى أن يأتى بالمعجزة، وإذن فأمر المعجزة يعود إلى الله تعالى حتى وإن كانت فعلاً من النبى.

يقول سعد الدين التفتازانى: إنا بينا أن لا مؤثر فى الوجود إلا الله وحده سيما فى مثل احياء الموتى، وانقلاب العصا حية، وانشقاق القمر، وسلام الحجر والمدر، على مجرد التمكين وترك الدفع من قبل الحكيم القادر كاف فى افادة المطلوب، ولهذا ذهب المعتزلة إلى أن المعجزة تكون فعلاً لله تعالى، أو وقعا بأمره وتمكينه(١).

أما السحر ونحوه ففيه احتمالان: إما أن يبلغ حد الإعجاز أو لا يبلغ:

وفى الحالة الأولى إما أن يكون دون دعوى النبوة أو معها، فإذا لم يبلغ حد الإعجاز فظاهر أنه لا يلتبس بالمعجزات فلا أشكال، وان بلغ حد الإعجاز كفلق البحر وانشقاق القمر فإن لم يكن مع دعوى النبوة فلا اشكال أيضاً ولا التباس، اما إذا كان مع دعوة النبوة والتحدى فلابد من أحد أمرين: اما أن لا يخلقه الله على يديه، واما أن يقدر غيره على معارضته وإلا كان ذلك تصديقاً للكاذب وانه مستحيل على الله لكون كذباً(٢).

أما ما يحصل من الفلكيين والمنجمين فإن هذا قائم على العلم والمعرفة والدراسة ويمكن لمن تعلم أو يتعلم هذا الفن أن يمارسه بكل

---

(١) شرح المقاصد جـ٢ ص١٧٨.

(٢) المواقف لعضد الدين الايجى جـ٢ ص٤١٧.

سهولة ويسر، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾[1].

الجواب عن الشبهة الثالثة:

الكرامة تختلف تمام الاختلاف عن المعجزة وذلك لأن الكرامة تظهر على يد الولى بخلاف المعجزة فإنها تظهر على يد مدعى النبوة تصديقاً له فى دعواه، فيشترط فيها أن تكون مقارنة لدعوى النبوة وليست الكرامة كذلك.

كما يشترط فى المعجزة التحدى بخلاف الكرامة، وبعضهم قال لا مانع من ذلك والصحيح أنه يجوز التحدى من الولى بالكرامة وانها لا تفترق عن المعجزة إلا بدعوة الرسالة فقط[2].

فالكرامة إذن عند من يقول بمنع وقوعها فلا اشكال بينها وبين

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ١٠٣.

(٢) الدسوقى على أم البراهيم ص١٧٧.

المعجزة، اما عند من يقول بوقوعها، فإنها لا تبلغ حد الإعجاز فلا تشتبه بالمعجزة وذلك لأن المعجزة تكون مع دعوى النبوة بخلاف الكرامة.

الجواب عن الشبهة الرابعة:

وقد رد سعد الدين التفتازانى على هذه الشبهة فقال: انه لا خفاء ولا خلاف فى ترتيب الغايات والآثار على بعض أفعاله وإن لم يجعلها أغراضاً له[1].

إذن فالأمر الخارق لم يظهره الله تعالى على يد النبى لغرض أصلاً، وذلك لانتفاء الأغراض عن الله تعالى فى أفعاله، ولكن هذا لا يمنع أن هناك آثارا أو فوائد مترتبة على هذه الأفعال، وإن لم يجعلها تعالى أغراضا له.

والأشاعرة ينفون الأغراض عن الله تعالى، لأن الغرض يشعر بالحاجة وإذا كان الله تعالى يفعل لغرض كان محتاجاً، والاحتياج علامة النقص والحدوث وهذا على الله تعالى محال، ولكنهم لا ينفون أن توجد آثار ونتائج مترتبة على أفعاله تعالى، ونفى الغرض لا يستلزم نفى الآثار والنتائج، والأثر والنتيجة من ظهور المعجزة على يد النبى هو التصديق، وبهذا تنتفى جميع الاحتمالات.

ونود هنا أن نوضح مذهب الأشاعرة فيما تثيره تلك الشبهة من جواز اظهار الله تعالى المعجزة على يد مدعى النبوة كذبا، والغرض بذلك منه تعالى اضلال الخلق، ونجد المعتزلة يدخلون من هذا الباب فى الطعن على الاشاعرة وأنهم لا يستطيعون إثبات النبوات أصلاً.

---

(١) شرح المقاصد جـ٢ ص١٧٩.

والإمام الشهرستانى يرد على تلك الشبهة ويقررا أن الأشاعرة يجوزون أن يقع الإضلال من الله تعالى للخلق لكن بشرط أن لا يقع خلاف المعلوم، وبشرط أن لا يتناقض الدليل والمدلول، ولا يلتبس الدليل بالشبهة، وبشرط أن لا يؤدى الأمر إلى التعجيز وبشرط أن لا يؤدى إلى التكذيب فى القول[١].

فإذا علم الله تعالى أنه يرسل رسولا يهتدى به قوم، فهو تعالى ينصب دليلاً يستدل به القوم على صدق الرسول، فلو أضلهم بعين ذلك الدليل لوقع الأمر على خلاف المعلوم وذلك محال، وكذلك إذا أخبر تعالى أنه يرسل رسولاً يهتدى به ثم أضل كل من بعث إليه لتناقض الخبر وانقلب الصدق كذبا وذلك محال، فإن الكذب لا يجوز على الله تعالى، وإنما لا يجوز ذلك عليه لأن الكذب اخبار عن الشىء على خلاف ما هو به، وهو تعالى يعلمه على ما هو به، وكل من علم شيئاً كان له خبر عن معلومه، والخبر عن المعلوم خبر عما هو به فلا يجتمع فى العالم خبران متناقضان، وإذ علم الله تعالى صدق شخص وأخبر عن صدقه فقد صدقه، ومن صدقه فلا يجوز أن يكذبه.

ولا يجوز أن يتناقض الدليل والمدلول لأن جهة الدلالة فى القرينة وفى الفعل لا تختلف، فإذا دل الشىء على الشىء فإنه لا يجوز أن يدل على خلافه وذلك غير مقدور عليه، وكما أن جهة التخصيص إذا دلت على الإرادة لم تدل على خلاف ذلك، فكذلك جهة التخصيص بالتصديق لا تدل على خلاف قصد المخصص بالتصديق.

---

(١) نهاية الأقدام للشهر ستانى ص٤٤٠.

وقد اعترض على هذا، بأن الواحد يعلم شيئاً فى نفسه ويخبر عنه بالكذب ولا يلزم من كذبه جهل.

ويجاب عنه: ان هذا بالنسبة للمحل الذى قام به وهو خبر اللسان اللفظى اما كلامه النفسى فلا يكون إلا على وفق عقده أى التصديق، ولما كان الله سبحانه يستحيل عليه التركيب حتى يقوم العلم والصدق بمحل والكذب بمحل آخر ويستحيل عليه الوساوس والتقادير الحادثة.

(٢) أن كل مخبر تجرد النظر إليه فإنه يصح من العالم به أن يخبر على وفق علمه فلو صح الكذب عليه تعالى لوجب أن يتصف بجائز وذلك يمتنع أن يتصف بضده وهو الصدق وهو محال.

(٣) أنه قد ثبت اتصافه تعالى بالكمال والصدق صفة كمال وضدها نقص والنقص فى حقه تعالى محال، فوجب كونه صادقاً[١].

فإظهار المعجزة على يد الرسول دليل على صدقه من غير حاجة إلى اعتبار آخر وعلى هذا فلا دور ولا تسلسل.

الجواب عن الشبهة السادسة:

وللرد على ما جاء فى هذه الشبهة نقول: إن مدعى النبوة إذا جاء بالخارق للعادة وتحدى به علم بالضرورة صدقه متى عجز الموجودون عن معارضته هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن دعوة الرسل جهرية وفيها

---

(١) شرح السنوسية الكبرى - تحقيق د/ عبد الفتاح بركة ص٣٦٧.

تغيير للعقائد والأحكام والعادات التى ألفها الناس فلابد أن تشتهر وتعلم لمعظم الحاضرين فى قطره، كما أنه لا يعقل التوطئ من القادر على المعارضة مع مدعى النبوة لينال بذلك كسباً أو مغنماً، بل الواقع معارضته خصوصاً إذا كان قد غير الأحكام وفرض أشياء لم تكن، وفيها إلزام وتكليف للناس بما يشق عليهم.

وإذا كان معلوماً بالضرورة العادية حصول المعارضة من القادرين عليها فمن المعلوم أيضاً اظهار المعارضة حتى يتم المقصود منها، فإذا أخفيت فى بعض الأماكن والأوقات فإن ذلك لا يستوجب إخفاؤها فى جميع الأماكن والأوقات، فلو كانت هناك معارضة لاستحال اخفاؤها مطلقاً، بل لابد وأن تظهر، إن لم يكن من اتباع مدعى النبوة فمن غيرهم، إذن لم تكن هناك معارضة أصلاً حتى يخفيها المعارض لأى سبب كما أنه لو حصلت المعارضة لظهرت فى وقت آخر غير زمن المعارضة ولأظهرها أعداء الدين.

وقد رد سعد الدين التفتازانى على هذه الشبهة فقال: إن المتحدين عجزوا عن معارضته مع كونهم أحق بها إن أمكنت، لكثرة اشتغالهم بما يناسب ذلك وكما لهم فيه وفرط اهتمامهم بالمعارضة وتوفر دواعيهم، ولهذا كانت معجزة كل نبى من جنس ما غلب على أهل زمانه، وتهالكوا عليه وتفاخروا به، كالسحر فى زمن موسى -عليه السلام- والطب فى زمن عيسى -عليه السلام- والموسيقى فى زمن داود -عليه السلام والفصاحة

فى زمن محمد -صلى الله عليه وسلم[1]. وأن النبى فى وقت إعلان نبوته يكون ضعيفاً لا حول له ولا قوة واتباعه ضعفاء أيضاً، ومع ذلك فإن النبى يتحدى قومه الذين برعوا فى مثل ما جاء به فلو كان ما جاء به مما يعارض، لعورض، ولو حصلت المعارضة لنقلت للخصوم المتعددين الذين ينتظرون أى شىء يظهر من هؤلاء الذين يستطيعون المعارضة لكى يأخذوه وينشروه ويدونوه فى كتبهم ويذيعوه على الناس ليفسدوا على النبى أمره ويطعنوا عليه فى نبوته، وليس هناك ما يمنع من المعارضة ومن نقلها إن كانت قد حصلت، وإذن فمعجزات الأنبياء مما لا يمكن معارضته وإذن فهى مصدقه لهم فى دعواهم النبوة.

وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول:

اتفق المتكلمون على أن طريق اثبات النبوة والرسالة المعجزة، واتفقوا ايضاً على أن المعجزة من آثار قدرة الله تعالى يعجز البشر العاديين على الاتيان بمثلها لكنهم اختلفوا فى كيفية دلالتها على صدق مدعى النبوة إلى مذاهب متعددة نذكرها فيما يلى:

١- المذهب الأول: القائلون بأنها دلالة عقلية:

ذهب أكثر الأشاعرة إلى أن دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة عادية بمعنى أن الله يخلق عقبها العلم الضرورى بأن هذا صادق، لأن الدليل يكون صحيحاً متى كان مستلزماً للمدلول لا يوجد بدونه، ولا يوجد مع

---

(١) شرح المقاصد جـ٢ ص١٧٩.

ما يناقضه، والمعجزات دليل صدق الأنبياء وبراهينهم وهى لا توجد إلا مع دعوة النبوة.

يقول سعد الدين التفتازانى: وأما وجه دلالتها، أى وجه دلالة المعجزة على صدق الرسالة، أنها عند التحقيق بمنزلة صريح التصديق لما جرت العادة به من أن الله تعالى يخلق عقبها العلم الضرورى بصدقه، كما إذا قام رجل فى مجلس ملك بحضور جماعة وادعى أنه رسول هذا الملك اليهم، فطالبوه بالحجة فقال: هى أن يخالف الملك عادته ويقوم من سريره ثلاث مرات ويقعد، ففعل، فإنه يكون تصديقاً له ومفيداً للعلم الضرورى بصدقه من غير ارتياب[1].

فإن اعترض على هذا التمثيل بأنه قياس للغائب على الشاهد، أى قياس لله تعالى على هذا الملك، والتمثيل يعتبر فى الفقه أى فى الأحكام العلمية الفرعية لإفادة الظن كقياس النبيذ على الخمر فى الحرمة لكونه مسكراً مثلها، وقد اعتبرتموه فى الأحكام الأصلية الاعتقادية التى هى أساس ثبوت الشرائع وهى لا يفيد الظن فيها بل لابد فيها من اليقين[2].

ويجاب عن هذا الاعتراض بأن التمثيل انما هو لتقريب الصورة إلى الأذهان فقط دون الاستدلال.

ويذكر صاحب المواقف كأشعرى مثالاً أخر على أن دلالة المعجزة

---

(١) شرح المقاصد جـ٢ ص١٨٧.

(٢) النبوات والسمعيات من مباحث علم الكلام، د/ محيى الدين الصافى ص٣٠.

عادية يقول فيه إن من قال أنا نبى ثم نتق الجبل واوقفه على رؤوسهم وقال: إن كذبتمونى وقع عليكم وإن صدقتمونى انصرف عنكم، فكلما هموا بتصديقه بعد عنهم، وإذا هموا بتكذيبه قرب منهم علم بالضرورة أنه صادق فى دعواه، والعادة قاضية بامتناع ذلك من الكاذب[١].

ثم يقول: وليس هذا الذى ذكرناه من باب قياس الغائب على الشاهد وحتى يتوجه إليه أن الشاهد تعلل أفعاله بالأفراد لأنه يراعى المصالح ويدرأ المفاسد بخلاف الغائب لا يبالى بالمصلحة أو المفسدة فلا يصح القياس، بل ندعى فيه افادة العلم بالضرورة العادية.

فإن قيل: يجوز على هذا المذهب ظهور المعجزة على أيدى الكذابين، ولا يكون العلم حينئذ حاصلاً بنبوتهم وإلا انقلب جهلاً.

فيرد عليه بأن الله تفضل بعدم خرق العادة فى هذا الأمر فلم تظهر المعجزة قط على يد كذاب، بل عادته أن يفضح كل من أراد أن يبرز بمنصب النبوة وليس من أهلها هذا فيما مضى، وأما فى المستقبل فقد كفانا الله هذه المؤونة بجعل العلم القطعى وأن النبى صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فكل من ادعى النبوة بعده فليس إلا الإسلام أو السيف[٢].

فالأشاعرة يرون أن وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة عادية لأن العادة قاضية أن المعجز لا يحصل على يد الكاذب، وأن جاز

---

(١) انظر كتاب المواقف – عضد الدين الايجى ص ٣١٤.

(٢) شرح السنوسية الكبرى ص٤٦٤ تحقيق د/ عبد الفتاح بركة.

وقوعه عقلاً بناء على عموم قدرة الله تعالى، إذن فهم يرون أن الدلالة عادية ولا يلزم على ذلك قياس غائب على الشاهد أو لزوم الكذب فى حقه تعالى لأن العادة جرت بغير ذلك.

٣- المذهب الثانى: القائلون بأنها دلالة عقلية(١):

وهؤلاء يرون أن دلالة المعجزة على صدق الرسل عقلية، على معنى أن المعجزة تدل عقلاً على صدق مدعى النبوة، كدلالة الأثر على المؤثر، ودلالة اتقان العمل على أن فاعله عالم أصول صنعته. لأن حصول المعجزة على يد مدعى النبوة موافقة لدعواه يدل عقلاً على أن الله أراد تصديقه، اذ لو جاز عقلاً أن يؤيد الكاذب على وفق دعواه لالتبس الحق بالباطل ولا انقلب الكذب صدقاً وهذا باطل، ولأنه يلزم عليه إقامة الحجة على الله من كفر بالصادق وهذا أمر محال.

يقول الايجى: قالت المتعزلة: خلق المعجز على يد الكاذب مقدور لله تعالى لعموم قدرته، ولكنه ممتنع وقوعه فى حكمته، لأن فيه ابهام صدقه وهو اضلال قبيح من الله فيمتنع عنه كسائر القبائح(٢).

إذن يستحيل عقلاً صدور المعجزة على أيدى الكذابين لأنه يلزم عليه ما يلى:

١- يلزم عليه نقض الدليل العقلى بأن يوجد الدال ولا يوجد المدلول فيصير ذلك الدليل شبهة.

---

(١) مذهب المعتزلة - أبو اسحاق من الأشعرية.

(٢) شرح المواقف - عضد الدين الايجى ص١٠٧ تحقيق د/ بيصار.

٢- يلزم عليه أيضاً: أن يصير العلم الذى استلزمه جهلاً مركباً، لأنه إذا قال أنا رسول والدليل على صدقى كذا، فلو كان الدليل لادلالة فيه لزم أن الرسول يفتقد الصدق والمحال أن لا صدق، فيصير ما قام به من العلم جهلاً، وذلك قلب للحقائق، لأن الدليل ينافى حقيقة الشبهة فيستحيل انقلاب الدليل شبهة، وكذلك العلم يباين الجهل فيستحيل العلم جهلا، وقلب الحقائق محال، لأن كون الشىء مبايناً لشىء آخر ثم يصير عينه فيه جمع بين متناقضين، وفيه زوال الأوصاف النفسية عن الشىء مع بقائه وهذا يستلزم أنه باق وغير باق والكل محال[1].

وإذا بطل الأمران استحال صدور الخارق عقلاً على أيدى الكذابين.

واعترض على هذا القول بأن الدلالة العقلية ترتبط بمدلولها فلا يختلف فيها المدلول عن الدال، بل كلما حصل الدال حصل المدلول، والمعجزة ليس كذلك، إذ قد يوجد الدال ولا يوجد الملول، مثال ذلك ما يحدث يوم القيامة من خوارق كطى السماء والأرض وتناثر الكواكب وكون الجبال كالعهن المنفوش، وليس هناك رسالة ولا رسول مع وجود المعجزة، فقد وجد الخارق ولم يوجد الرسول فقد تخلف المدلول عن الدال وهذا بخلاف الأدلة العقلية، وأيضاً الكرامة خارق للعادة، وليس هناك رسول تدل على صدقه ولذلك قال صاحب المواقف: ليست دلالة المعجزة عقلية محضة كدلالة العقل على وجود الفاعل، ودلالة إحكامه واتقانه على أن فاعله عالم بما صدر عنه فإن الأدلة العقلية ترتبط بنفسها وبمدلولاتها، ولا يجوز تقديرها

---

(١) حاشية اسماعيل الحامدى على السنوسية الكبرى ص٤٥٨.

غير دالة عليها وليست المعجزة كذلك فإن خوارق العادات كانقطاع السموات وتناثر الكواكب وتدكدك الجبال يقع عند قرب الدينا وقيام الساعة ولا ارسال فى ذلك الوقت[1] ويجاب عن ذلك بأن ما يحدث قرب قيام الساعة انما هى امارات وعلامات جعلت على قرب قيام الساعة، وليست داخله فى تعريف المعجزة ولا من شروطها، لأن من شروط المعجز أن يكون مقارناً لدعوى النبوة وأن يكون متحدياً به المنكرين كأن يقول مدعى النبوة أنا رسول من عند الله وآية صدقى حصول كذا من الخوارق فيحصل، أما ما يحدث قرب قيام الساعة فلم يحدث معه تحد ولا دعوى رسالة.

هذا وقد تبين لنا من خلال عرضنا لمذهب الأشاعرة والمعتزلة أن خلافهم هذا مبنى على خلاف آخر وهو، أن خلق المعجزة على يد الكاذب اما مقدور لله وممتنع الوقوع عقلاً أو عادة؟.

فالأشاعرة لما قالوا ان خلق المعجزة على يد الكاذب مقدور لله عقلاً ممتنع الوقوع عادة قالوا ان الدلالة عادية، اما المعتزلة فلما كان رأيهم أن ذلك مقدور لله وممتنع الوقوع لأن فيه ابهام تصديق الكاذب وهو لا يليق بالله تعالى، قالوا ان دلالة المعجزة عقلية.

٣- المذهب الثالث: والقائلون بأن الدلالة سمعية:

يرى هؤلاء أن دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة سمعية، وحجة هؤلاء أن اعطاء هذا المعجز منزل منزلة قوله صدق عبدى فى كل ما يبلغ

---

(١) انظر كتاب المواقف ص٤١٢.

عنى، ودلالة هذا القول سمعية[١].

وهذا الرأى ليس سديداً لأن الدلالة لو كانت سمعية لكانت متوقفة على الشرع وهو قوله صدق عبد فى كل ما يبلغ عنى، وثبوت الشرع متوقف على المعجزة فيلزم الدور، والدور باطل، يقول الشيخ اسماعيل الحامدى: يستحيل أن تثبت الأدلة السمعية قبل ثبوت المعجزة لأن الأدلة السمعية فرع ثبوت الرسالة التى هى فرع ثبوت المعجزة، فلو ثبتت الأدلة السمعية قبل ثبوت المعجزة لزم الدور، وإذا استحال ثبوت الأدلة السمعية قبل ثبوت المعجزة استحال أن تكون دلالة المعجزة من جملة دلالة الأدلة السمعية[٢].

والذى أرجحه من هذه الآراء: ان وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة عقلية يقينية، لأن أصحاب العقول السليمة يدركون أن الله لا يجرى معجزاته على أيدى الكاذبين حتى لا يختلط الصادق بالكاذب.

يقول الدكتور/ الصافى: إن دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة عقلية لأن بها تقوم الحجة من الله تعالى على صدق الرسول، ومن كذب الرسول بعد ظهورها على يديه كافر ومخلد فى النار، أما من قال من الأشاعرة إنها دلالة عادية فهو لأن العلم بالمدلول حصوله عادى بعد النظر فى الدليل حتى فى العقليات عندهم وكلامهم غير مسلم فإنه متى كانت المقدمات يقينية فالنتيجة يقينية لاشك[٣] وقريب من هذا الرأى القائل ان

---

(١) محاضرات فى التوحيد للشيخ صالح شرف ص١٣.

(٢) حاشية اسماعيل الحامدى على السنوسية الكبرى ص٤٥٦.

(٣) النبوات والسمعيات من مباحث علم الكلام ص٣٢.

الدلالة عقلية -من قال: إن وجه دلالة المعجزة على صدق الرسل دلالة قطعية[١].

لأنهم يرون أن خلق المعجز على يد الكاذب كذب وهو على الله محال، يقول السيد الشريف: ان دلالة المعجزة على صدق الرسل دلالة قطعية معللاً ذلك بأنه لو جاز كذبهم فى دعوى الرسالة لأدى ذلك إلى ابطال المعجزة وهو محال[٢] ولا معنى للدلالة العقلية غير هذا.

وقريب من هذا الرأى القائل ان الدلالة عقلية أيضاً من قال: إن وجه دلالة المعجزة صدق الرسل، دلالة وضعية كدلالة الألفاظ بالوضع على معانيها، وعلى هذا أيضاً يستحيل صدور المعجزة من كاذب لم يلزم عليه من كذب الإله وهو محال[٣].

ولا معنى أيضاً للدلالة العقلية غير هذا، لأن الخارق موضوع للصدق والموضوع يدل عقلاً على الموضوع له بعد ملاحظة الوضع.

يقول السنوسى بعد ذكره لوجهى الدلالة العقلية والوضعية: إن هذين الرأيين يرجعان إلى قول واحد وهو أن الدلالة عقلية[٤].

---

(١) مناهج الأدلة لأبن رشد ص١٢٩.

(٢) هامش المواقف جـ٢ ص٢١٤.

(٣) مذكرة التوحيد للأستاذ / حسن السيد المتولى ص٤٢.

(٤) شرح السنوسية ص٤٦٠.

الرد على الخرافات والمفتريات التى روجتها الباحثة:

بعد أن تكلمنا عن المعجزة وشروطها وقمنا بالرد على شبهات المنكرين وبينا زيفها جاء الدور هنا لنرد على الخرافات والمفتريات التى روجتها الباحثة فى رسالتها والتى تزعم فيها ان معجزات الأنبياء من خروج سيدنا ابراهيم عليه السلام من النار سليماً، والإسراء والمعراج بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشفاء سيدنا أيوب عليه السلام، وخروج نبى الله يونس عليه السلام من بطن الحوت، ما هى إلا تخيلات وأساطير أقتنع بها الناس.

وبداية أود أن أشير إلى القول بأن الهجوم على ثوابت الدين دافعة الجهل باحكام الإسلام والتكلم فيها بغير علم، لأن الذى يتعرض للمسائل العلمية، والقضايا العقدية يجب أن يتأهل من يخوض فيها بالعلم بعلوم متعددة مختلفة من التفسير والحديث، والعقيدة، والفقه ومصطلح الحديث، وأصول الفقه، وغيرها من العلوم الذى يجب أن تتوافر فى الذى يتصدى للإدلاء برأيه فى القضايا العقدية على وجه الخصوص والمسائل الشرعية على وجه العموم.

ومن اليقينى الثابت الذى لا ريب فيه أن الأنبياء جميعاً بشر، ولكنهم على الرغم من بشريتهم لهم صفة اختصاص بالوحى وصلة اتصال بالملأ الأعلى لا يرقى إليها من دونهم من خلق الله، ولهذا فقد تجلى الله عليهم بالاصطفاء والاختيار ومنحهم من الفضل والتكريم ما يؤهلهم لأداء دورهم فى البلاغ عن الله جل جلاله، ومن هنا لا يجوز النظر إليهم فى حدود

مكونات البشرية العادية التى يتساوى فيها جميع الناس، ولكن يجب النظر إليهم من زاوية الاختصاص بالنبوة والاصطفاء بالرسالة، والاعداد الخاص للقيام بتلك المهمة بما يحقق لها الوجود الأمثل، أما أن نتوجه فى تصرفنا عليهم، والبحث عن معالم حياتهم إلى نطاق البشرية العادية، وبالتالى نخضع أمور نبوتهم وحياتهم للتفسيرات التى يتساوون فيها مع سائر البشرية فهذا مما لا يطابق الواقع، ومما لا ترضاه المناهج الحديثة فى البحث عن حقائق الأشياء والأشخاص.

فإذا كان البشر العاديون لا يتساوون من حيث المدارك والقدرات الطبيعية المزاجية، ولا تتطابق أحوالهم فى كل حال وبيئة، الأمر الذى يدفع الدارسين لأحوالهم وتفسير سلوكهم إلى التصنيف والتنويع فإن رسل الله تعالى لا يمكن مساواتهم بغيرهم من سائر البشرية بحجة أنهم يتماثلون معهم فى البشرية.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾[1].

فالأنبياء إذن هم صفوة الخلق اختارهم الله تبارك وتعالى واصطفاهم على العالمين ليكونوا سفراء إلى خلقه ليبلغونهم أوامر الله ونواهيه، وكان من مقتضى الحكمة الإلهية أن يؤيد أنبياءه بالمعجزات الدالة على صدقهم، وهذا بدوره يتطلب منا أن نلقى الضوء على معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

---

(١) سورة آل عمران الآيات أرقام (٣٣-٣٤).

معجزات الأنبياء:

لقد أيد الله الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بالمعجزات التى يعجز عنها العقل البشرى والتى تقطع بأنهم مرسلون من عند الله وموصلون بالملأ الأعلى من الله يأخذون منه تعاليمه لتبليغهم إلى أممهم، وهذه الآيات والمعجزات فوق طاقة البشر وخارج نطاق قدرتهم وعلومهم الإنسانية ومعارفهم الأرضية ومعجزات الأنبياء أكثر من أن تحصى وقد ذكرها القرآن الكريم بما لا يدع مجالاً للشك وكان من مقتضى الحكمة الإلهية أن يؤيد الله رسله بالمعجزات الخارقة من جنس ما اشتهر فيه القوم الذين بعث فيهم النبى.

فمعجزة آدم عليه السلام:

هى علمه بالأسماء كلها من غير قراءة ولا كتابة ولا تدريس يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾[1].

---

(١) سورة البقرة الآيات أرقام (٣١-٣٣).

ومعجزة نوح عليه السلام:

هى الطوفان الذى أغرق المكذبين به وبرسالته وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون، ثم أغرقنا بعد الباقين، إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾(١).

يقول ابن كثير: لما طال مقام نبى الله بين أظهرهم يدعوهم إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً، وكلما كرر عليهم الدعوة صمموا على الكفر الغليظ والامتناع الشديد وقالوا فى الآخر "لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجمين" أى لئن لم تنته عن دعوتك إيانا إلى دينك لنرجمنك فعند ذلك دعا عليهم دعوة استجاب الله منه(٢).

ومعجزة هود عليه السلام:

الريح وما كان من شأنها مع قوم عاد، واليها أشار الحق تباك وتعالى بقوله: ﴿كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر، إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابى ونذر﴾(٣).

---

(١) سورة الشعراء الآيات أرقام (١١٩-١٢١).

(٢) تفسير الإمام ابن كثير جـ٣ ص٣٤١ ط/ مكتبة دار التراث / القاهرة.

(٣) سورة القمر الآيات أرقام (١٨-٢١).

فكانت الريح تقلعهم من أماكنهم وروى أنهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فقلعتهم الريح وصرعتهم موتى فكأنهم حين تقلعهم الريح أعجاز نخل منقلع من مغارسه وساقط على الأرض وشبهوا بها لأنهم كانوا طوال الأجساد فكانت الريح تقلع رؤوسهم فتبقيهم أجساداً بلا رؤوس[1].

ومعجزة نبى الله صالح عليه السلام:

الناقة التى طلب القوم أن تكون لهم من الصخر وذلك عندما دعا نبى الله "صالح" قوم ثمود إلى عبادة الله وحده وأن يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه، فأخبرهم أنه لا يبتغى بدعوتهم أجراً منهم وإنما يطلب ثواب ذلك من الله تعالى ثم ذكرهم بأنعم الله عليهم فيما رزقهم من جنات وعيون وأخرج لهم من الزروع والثمرات، فما كان جوابهم عليه إلا أن قالوا كما أخبر الله تعالى: (إنما أنت من المسحرين) ثم إنهم اقترحوا عليه آية يأتيهم بها ليعلموا صدقه بما جاء به من ربهم وقد اجتمع ملأهم وطلبوا منه أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة ناقة عشراء – وأشاروا إلى صخرة عندهم– من صفاتها كذا وكذا فعند ذلك أخذ عليهم نبى الله صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم إلى ما سألوا ليؤمنن به وليتبعنه فأعطوه ذلك فقام نبى الله صالح عليه السلام فصلى ثم دعا الله عز وجل أن يجيبهم إلى سؤالهم فانفظرت تلك الصخرة التى أشاروا إليها عن ناقة عشراء على الصفة التى وصفوها فأمن بعضهم وكفر أكثرهم، فقال لهم نبى

---

(١) صوفة البيان لفضيلة الشيخ حسنين مخلوف ص٦٧٣.

الله صالح عليه السلام "هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم" يعنى ترد ماءكم يوما، ويوما تردونه أنتم، وحذرهم نقمة الله إن أصابوها بسوء[١].

فلما عقروها أخذتهم الرجفة عقاباً لهم على ما أقدموا عليه فأهلكتهم الزلزلة الشديدة وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب من محالها وأتاهم من الأمر ما لم يكونوا يحتسبون يصور لنا القرآن الكريم ذلك فيقول ﴿قالوا إنما أنت من المسحرين، ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين، قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين، فأخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾[٢].

ومعجزة نبى الله ابراهيم عليه السلام:

هى النجاة من النار -فقد سبق أن عرفنا أن المعجزة قد تكون قولاً: كالقرآن الكريم المنزل على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وقد تكون فعلاً: مثل تفجير الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم، واشباعه عليه الصلاة والسلام الجمع الكثير من الطعام القليل باذن الله، ومثل قلب العصا حية تسعى لموسى عليه السلام بأمر الله وبياض يد

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ ص٣٤٤.

(٢) سورة الشعراء الآيات أرقام (١٥٣-١٥٨).

موسى معجزة له عليه السلام، ومثل ابراء عيسى عليه السلام للأكمه والأبرص باذن الله وغيرها من الآيات الاخرى.

وقد تكون تركاً: مثل عدم احراق النار لسيدنا ابراهيم عليه السلام، وقد قسم الفلاسفة المعجزة أيضا إلى نفس التقسيم: ترك، وقول، وفعل[1].

إذا نجاة سيدنا ابراهيم عليه السلام ليست من قبيل الأساطير كما زعم الباحثة وإنما هى من قبيل المعجزات التى أعطيت لسيدنا إبراهيم عليه السلام، ويصور لنا القرآن الكريم هذه المعجزة فيقول: ﴿قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون، قالوا حرقوه وانصروا الهتكم إن كنتم فاعلين، قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على ابراهيم، وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾[2].

أما كيفية القصة فقال مقاتل: لما اجتمع نمروذ وقومه لإحراق ابراهيم حبسوه فى بيت وبنوا بنياناً كالحظيرة، وذلك قوله (قالوا ابنوا له بنيايا فألقوه فى الجحيم) ثم جمعوا له الحطب الكثير، حتى ان المرأة لو مرضت قالت: إن عافانى الله لاجعلن حطبا لابراهيم، ونقلوا له الحطب على الدواب أربعين يوما، فما اشتعلت النار اشتدت وصار الهواء بحيث لو مر الطير فى أقصى الهواء لأحترق، ثم اخذوا ابراهيم عليه السلام ورفعوه على رأس

---

(١) انظر المواقف – عضد الدين الايجى ص٣٤١.

(٢) سورة الأنبياء الآيات أرقام (٦٦-٧٠).

البنيان وقيدوه، ثم أتخذوا منجنيقاً ووضعوه مقيداً مغلولا فصاحت السماء والأرض ومن فيها من الملائكة إلا الثقلين صيحة واحدة، أى ربنا ليس فى أرضك أحد يعبدك غير ابراهيم، وأنه يحرق فيك فأذن لنا فى نصرته فقال سبحانه: إن استغاث بأحد منكم فأغيثوه، وإن لم يدع غيرى فأنا أعلم به وأنا وليه، فخلوا بينى وبينه، فما أرادوا إلقاءه فى النار، أتاه خازن الرياح فقال: ان شئت طيرت النار فى الهواء، فقال ابراهيم عليه السلام: لا حاجة بى إليكم، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم أنت الواحد فى السماء، وأنا الواحد فى الأرض، ليس فى الأرض أحد يعبدك غيرى، أنت حسبنا ونعم الوكيل وقيل إنه حين القى فى النار قال: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك، ثم وضعوه فى النار، فأتاه جبريل عليه السلام، وقال يا ابراهيم هل لك حاجة، قال: أما إليك فلا؟ قال: فاسأل ربك قال: حسبى من سوءالى علمه بحالى، فقال الله تعالى ﴿يا نار كونى برداً وسلاما على ابراهيم﴾[1].

أما كيف بردت النار وكانت سلاماً على ابراهيم عليه السلام؟ فالأقوال فى هذا الشأن ثلاثة:

أحدها:

أن الله تعالى أزال عنها ما فيها من الحر والإحراق، وأبقى ما فيها من الإضاءة والإشراق والله على كل شىء قدير.

---

١) أنظر مفاتيح الغيب للإمام الرازى - المجلد الحادى عشر جـ٢٢ ص١٨٨ وما بعدها.

وثانيها:

أن الله تعالى خلق فى جسم ابراهيم كيفية مانعة من وصول أذى النار إليه كما يفعل بخزنة جهنم فى الآخرة، وكما أنه ركب بنية النعامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة.

وثالثها:

أنه سبحانه خلق بينه وبين النار حائلاً يمنع وصول أثر النار إليه قال المحققون والأول أولى لأن ظاهر قوله تعالى: ﴿يا نار كونى برداً﴾ أن نفس النار صارت باردة حتى سلم ابراهيم من تأثيرها[1].

يتضح لنا مما سبق أن خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام عندما دعا قومه إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام لأنها لا تنفع ولا تضر، عارضة قومه ورفضوا الاستجابة لدعوته واهمين أنه إنما يمازح بما خاطبهم به فى أصنامهم أظهر عليه السلام ما يعلمون به أنه مجد فى اظهار الحق الذى هو التوحيد وذلك بالقول أولاً، وبالفعل ثانياً، أما الطريقة الأولى فهى قوله (بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن) وأما الطريقة الثانية فهى قوله (وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) فلما لم تفلح الطريقة الأولى فى اقناعهم لجأ إلى الطريقة الثانية لعلهم يتعظون وينزجرون ويعودون إلى ثوابهم ورشدهم، فحطم أصنامهم التى اتخذوها

---

(١) انظر مفاتيح الغيب، للامام الرازى جـ٢٢ ص١٩٠.

آلهة يعبدونها من دون الله، وجعلهم جذاذا إلا كبيراً لهم، وهنا ثارت ثائرتهم وهددوا وتوعدوا بأقصى أنواع العذاب لمن فعل ذلك بآلهتهم ونفذوا تهديدهم والقوا بابراهيم عليه السلام فى النار، إلا أن الله عز وجل نجاه منها وحماه من ضررها وأخطارها، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

فهل بعد هذه الحقائق الثابتة فى كتاب الله عز وجل مجالاً للعقل أن يبحثها ويقرر أنها من قبيل الأساطير والخرافة اللهم إلا إذا كان ذلك الإنسان فقد دينه وعقيدته بل وفقد عقله أيضاً ومن هنا يصح لنا أن نقول إن ما جاء من أقوال الباحثة لهو الخرافة ذاتها لأنه بعيد كل البعد عن المنهج القويم ولمخالفته لصريح المنقول والمعقول.

وأما ما ورد فى شأن نبى الله أيوب عليه السلام:

-كما تقول الباحثة- الذى أعيد جسده إلى صحته بعد أن كاد يتعفن ونخر الدود فى لحمه وعظامه[1].

وللرد على ذلك نقول: إن ما قيل فى حق نبى الله أيوب عليه السلام هو من قيل الإسرائيليات التى لا يعبأ بها فقد أغرقوا فى الخيال وقالوا ان الدود كان يتناثر من جلده وقد سقط لحمه حتى لم يبق منه سوى لسانه وقلبه وأنه مكث سنين طويلة على هذا، هذا مالا يصدقه عقل، لأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم مبرؤون من العيوب الخلقية والخلقية، ولأن

---

(١) أخبار الحوادث الصادرة فى يوم الخميس ٦ مايو ١٩٩٩م ص٩.

النبى لو اتصف بعيب منفر لأدى ذلك إلى عدم الوفاق والتلاءم بينه وبين قومه وهذا يتنافى ومهمة الرسالة.

أضف إلى ذلك أن ما ذكره الله تعالى من شأن نبى الله أيوب عليه السلام فيه من الدلائل والعبر ما ليس فى غيره، لأنه تعالى مع عظيم فضله أنزل به من المرض العظيم ما أنزله مما كان عبرة له ولغيره ولسائر من سمع بذلك وتعريفاً لهم أن الدنيا مزرعة الأخرة وأن الواجب على المرء أن يصبر على ما يناله من البلاء فيها، ويجتهد فى القيام بحق الله تعالى ويصبر على حالتى الضراء والسراء.

يقول الحق تبارك وتعالى ﴿وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾[1].

ويقول أيضاً ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب، وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب﴾[2].

---

(١) سورة الأنبياء الآيات أرقام (٨٣-٨٤).

(٢) سورة ص الآيات أرقام (٤١-٤٤).

فإن معناه أنه ابتلى بضياع ماله والتفرقة بينه وبين أهله مما يعد أمراً عادياً يحدث مرات عديدة فى دنيا البشر ولا يحتاج إلى تعليل، وأن هذا كان من قبيل الاختبار فصبر على هذا البلاء وكان الشيطان يوسوس له ليصرفه عن الصبر، وكان أيوب يصرف ما يجول بخاطره بعناء ومشقة لما يحدث من هذه الوسوسة، وقد كافأه الله فرد إليه جميع ماله وجمع بينه وبين أهله، ولهذا يقول رب العزة سبحانه وتعالى: (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر)[1].

ومما لاشك فيه أن الشكاية لله تعالى لا تنافى الخشوع، فالمس المذكور فى الآية معناه الوسوسة وقد عبر القرآن عن هذا بقوله: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾[2].

وأما ما ورد فى شأن نبى الله موسى عليه السلام:

من قلب العصا حية هو من قبيل الأساطير والتخيلات التى اقتنع بها الناس ولا يوجد لها أساس من الواقع كما تدعى الباحثة.

وللرد على ذلك نقول: إن ما تزعمه الباحثة مخالف لما جاء فى صريح القرآن الكريم وذلك لأن القرآن قص علينا عدداً من الأنبياء والرسل وتحدث عن معجزاتهم ومن بين هؤلاء الذين تحدث عنهم القرآن الكريم، نبى الله موسى عليه السلام.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٣٩ بتصرف.

(٢) سورة الأعراف الآية رقم ٢٠١.

وقد حكى القرآن الكريم معجزات موسى عليه السلام فى آيات متفرقة، ومن بين هذه المعجزات -قلب العصا حية- يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى، قال ألقها يا موسى، فألقاها فإذا هى حية تسعى، قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾[1].

وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أن الآيات التى أعطيت لموسى عليه السلام تسع هى، اليد البيضاء، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم والجدب، والنقص فى الثمرات[2].

قال تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾[3].

وقد أوتى موسى عليه السلام آيات أخر كثيرة منها ضربة الحجر بالعصا وخروج الماء منه ومنها تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك مما أتوه بنوا إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر، ولكن ذكر ههنا التسع آيات التى شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر فكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوها كفراً وجحوداً[4].

---

(١) سورة طه الآيات أرقام (١٧-٢١).

(٢) صفوة البيان لمعانى القرآن - الشيخ حسنين مخلوف ص٣٧٢.

(٣) سورة الإسراء الآية رقم ١٠١.

(٤) تفسير ابن كثير جـ٣ ص٦٧.

وقد يقال: ما الحكمة فى قلب العصا حية فى ذلك الوقت؟

والجواب عنه فيه وجوه:

أحدهما:

أنه تعالى قلب العصا حية لتكون معجزة لموسى عليه السلام يعرف بها نبوة نفسه وذلك لأن عليه السلام إلى هذا الوقت ما سمع إلا النداء، والنداء وان كان مخالفاً للعادات إلا أنه لم يكن معجزاً لاحتمال ان يكون ذلك من عادات الملائكة أو الجن، فلا جرم قلب الله العصا حية ليصير ذلك دليلاً قاهراً، والعجب أن موسى عليه السلام قال أتوكأ عليها فصدقه الله تعالى فيه وجعلها متكأ له بأن جعلها معجزة له.

ثانيهاً:

إن النداء كان اكراماً له فقلب العصا حية مزيداً فى الكرامة ليكون توالى الخلع والكرامات سبباً لزوال الوحشة عن قلبه.

ثالثها:

أنه عرض عليه ليشاهده أولاً فإذا شاهده عند فرعون لا يخافه.

رابعها:

أنه كان راعياً فقيراً ثم أنه نصب للمنصب العظيم فلعله بقى فى قلبه تعجب من ذلك فقلب العصا حية تنبيهاً على أنى لما قدرت على ذلك فكيف يستبعد منى نصرة مثلك فى إظهار الدين[1].

---

(١) مفاتيح الغيب للإمام الرازى جـ٢٢ ص٢٩.

وأما معجزة عيسى عليه السلام:

فكانت من جنس ما نبغ فيه قومه وهو الطب، فلما أنكر عليه اليهود دعوته جاءهم بما عجزوا عنه فكان إحياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص وانزال المائدة من السماء، وأن يخلق من الطين طيراً فينفخ فيه فتكون طيراً بإذن الله، وقد حكى القرآن الكريم أنواع المعجزات التى أعطيت لنبى الله عيسى عليه السلام فقال: ﴿ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾[1].

معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

لقد أيد الله أنبياءه صلوات الله وسلامه عليهم بمعجزات كثيرة، وكل نبى كان يأتى بالمعجزة التى تناسب عصره كما سبق.

ولقد أيد الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسم بمعجزات حسية ومعنوية وكانت معجزته الكبرى هى القرآن الكريم من قبيل المعجزات المعنوية، وذلك لأن المعجزة الحسية تنقضى بانقضاء وقتها، ولا تفارق الزمان والمكان الذى حدثت فيه، أما المعجزة المعنوية فهى باقية إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم (٤٩).

وليست أقصد الاستقصاء لمعجزات النبى صلى الله عليه وسلم، فى هذا البحث لأن هذا يتطلب رسائل متعددة للكتابة فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم التى أوصلها أحد المؤرخين إلى ما يزيد على ألف معجزة.

ولكنى أردت أن أرد على الجزئية الخاصة برسالة الباحثة، والتى تدعى فيها أن الإسراء والمعراج كان من قبيل الأساطير والخرافات والتهيؤات والتخيلات التى تنتج عن سوء التغذية ولا يوجد لها أسا من الواقع[1].

وللرد على هذه الفرية المزعومة نقول:

ثبت بالدليل القاطع والحجة الدامغة أن الإسراء والمعراج قد وقعا وتحققاً للنبى الكريم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، وأنه أسرى به صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس، ثم عرج به إلى السموات العلا ومما يدل على وقوع الإسراء قول الحق تبارك وتعالى: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾[2].

وكذلك دلت الأحاديث الصحيحة على أن النبى صلى الله عليه وسلم شق صدره وركب البراق وأسرى به وهى أحاديث رواها ثقات عدول

---

(١) أخبار الحوادث الصادرة فى يوم الخميس ٢٠ مايو ١٩٩٩م ص١١٢.

(٢) سورة الإسراء الآية الأولى.

وتلقتها الأمة بالقبول، ولو لم يكن إلا اتفاق صاحبى البخارى ومسلم على تخريجهما لكفى، فما بالك وقد خرجها كثير من أصحاب كتب الأحاديث المعتمدة والسير المشهورة والتفاسير المأثورة[١].

وأما المعراج فقد أشير إليه فى القرآن الكريم عند قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾[٢].

فعلى هذا يجب الإيمان بالإسراء والمعراج لورودهما فى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ومنكرهما كافر لإنكاره أمراً معلوما من الدين بالضرورة ولمخالفته اجماع المسلمين. وإن اختلفت وجهاتهم حول الإسراء والمعراج هل كانا بالروح والجسد؟ أم بالروح فقط؟ أم كانتا مناما؟.

فمن رأى القول بأنهما كانا بالروح والجسد معاً استدل بما جاء فى أول سورة الإسراء وبما جاء فى سور النجم، وسبق أن أشرنا إليهما منذ قليل.

وأما من رأى القول بأن الإسراء والمعراج كانتا بالروح فقط، استدل

---

(١) أنظر صحيح البخارى باب المعراج ص٦٦ وكذلك صحيح مسلم بشرح النووى جـ٢ ص٢٢٣.

(٢) سورة النجم الآيات أرقام (١٣-١٨).

بحديث نسب إلى السيدة عائشة تقول فيه "ما فقدت جسد رسول الله ولكن أسرى بروحه".

ويجاب عن هذا الحديث بما يلي:

١-أن هذا الحديث موضوع، وغير ثابت فعند القاضى عياض فى الشفاء أن هذا الحديث غير ثابت سنداً ومتنا وحكم عليه الحافظا بن دحية بالوضع.

٢-أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبن بالسيدة عائشة إلا بعد الهجرة والإسراء كانت قبل الهجرة فلم تكن السيدة عائشة معه حتى ينسب إليها هذا الحديث وعدم مفارقته جسدها[١].

وأما من قال بأنهما كانتا مناما فقد استدلوا على قولهم بما جاء فى كتاب الله عز وجل حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس﴾[٢] فالآية تشير إلى الإسراء والمعراج والرؤيا إنما تطلق على المنامية لا البصرية.

<u>ويرد عليهم بما يلي:</u>

١- لوكانتا مناما لم تكونا مستبعدين، ولما بادر كفار قريش بتكذيب الرسول ولما ارتد ضعفاء الإيمان عن الإسلام.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٨ ص٩١ ط المنار.

(٢) سورة الإسراء الآية رقم (٦٠).

٢- لقد اتفق العلماء على أن الإسراء والمعراج كانتا بالروح والجسد، وأن ما رآه الرسول صلى الله عليه وسلم بعينه فى هذه الليلة من أحوال الناس دليل على وقوعها بالجسد والروح، قال ابن عباس فى تفسيرها أنها رؤيا عين أوريها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليلة أسرى والشجرة الملعونة شجرة الزقوم(١).

٣- كما يرى بعض المفسرين أن هذه الآية نزلت عام الحديبية بسبب رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل المسجد الحرام، وعلى هذا فلا تصلح دليلاً لهم(٢).

هذا والذى نراه أن الإسراء والمعراج كانتا بالروح والجسد معاً كما نطق بذلك صريح الآيات والأحاديث الدالة على ذلك، كما أن الإسراء والمعراج أمران ممكنان عقلاً أخبر بهما القرآن الكريم والسنة المطهرة ومن هنا وجب التصديق بهما وأن من قال بأنهما من قبيل الأوهام والخرافات فعليه أن يقيم البرهان على صدق دعواه، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

والحقيقة التى لا مراء فيها أنهم لن يستطيعوا الإتيان بالبرهان على صحة قولهم لأن الله أخبر عن معجزات أنبيائه، والله صادق فى خبره "ومن أصدق من الله قيلا"، "ومن أصدق من الله حديثا".

---

(١) رواه البخارى كتاب التفسير سورة بنى إسرائيل باب وما جعلنا الرؤيا.

(٢) انظر كتاب الإسراء والمعراج لأبى شهبة ص٣٨.

وإذا قال الله فلا مجال لقائل، وما جاء فى رسالة الباحثة من أقوال الإسر تزعم فيها بأن معجزات الأنبياء أوهام وأساطير قول باطل مخالف لصريح الله المعقول والمنقول.

وقد ذكرنا فيما سبق جانباً من معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، والتى تحدث عنها القرآن الكريم الذى هو كلام رب العالمين المنزل على نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم والذى توعد الله بحفظه من التحريف والتبديل فقال: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ومن الواجب الاعتقاد بأن الله قادر على كل شىء ومن كان هذا وصفه فهو فاعل بالاختيار "وربك يخلق ما يشاء ويختار" فمن حكمته ومشيئته أن اختار أنبياءه ورسله ليبلغوا أوامره إلى أقوامهم لتقوم عليهم الحجة والبرهان ومن براهين صدق هؤلاء الأنبياء -المعجزات- التى أعطيت لهم لتكون دالة على صدقهم، فكيف يقول العقل بأن هذه المعجزات من قبيل الأوهام والخرافات، وإذا كانت المعجزات من قبيل الأوهام والخرافات فأين نجد الحقيقة؟ نجدها عند أقوام انحرفوا عن منهج الله وخالفوا كتابه وسنة نبيه، بل خالفوا اجماع المسلمين؟ إن من قال هذا لهو المنحرف وهو الضال وهو الذى جاء بالوهم والأساطير.

انها الخرافات التى يلجأ إليها المضلون والأوهام التى يسير فى ركابها الجاهلون ان ما جاءت به الباحثة يتعارض مع كل القيم الدينية ويدعو إلى الإباحية والإلحاد والخروج على المسلمات الدينية فهى كارثة بكل المقاييس لأن المعجزات منحة إلهية يعطيها الله سبحانه وتعالى لأنبيائه صلوات الله عليهم أجمعين لكى يثبتوا معنى التوحيد لله عز وجل، فعندما

تؤخذ هذه القيمة العقيدية العظيمة فى حق الأنبياء والمرسلين، وتطرح بهذه الصورة وإلصاقها بمرضى عصابيين وما يتخيلونه وما يخطر فى أعماقهم من هلوسة مرضية فهذا أمر يشيب له الولدان.

وفى الختام أسأل الله تبارك وتعالى أن يهدينا جميعاً إلى سواء السبيل وأن يوفقنا للعمل بكتابه والإتباع لمنهج نبيه صلى الله عليه وسلم وأن يحسن ختامنا وأن ينفعنا بما علمنا.

هذا ما تيسر لى من البحث والدراسة لهذا الموضوع فإن كنت قد وفقت فيه فلله الفضل والمنة ومنه الهداية والتوفيق، وإن كنت أخطأت فحسبى أنى اجتهدت قدر طاقتى "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها" والكمال لله وحده، وأسأل تبارك وتعالى أن يتجاوز عن سيئاتنا انه نعم المولى ونعم النصير.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

د/ أحمد فهمى على محمد